أثر الإسلام في شعر العباس بن مرداس السلمي

دراسة في المضمون والشكل

إعداد

د / محمد عبد الجواد محمد خليل

مـــدرس الأدب والنقـــد

في كلية اللغة العربية - فرع جامعة الأزهر

بإيتاي البارود

١٤٤٢هـ = ٢٠٢١م

ض

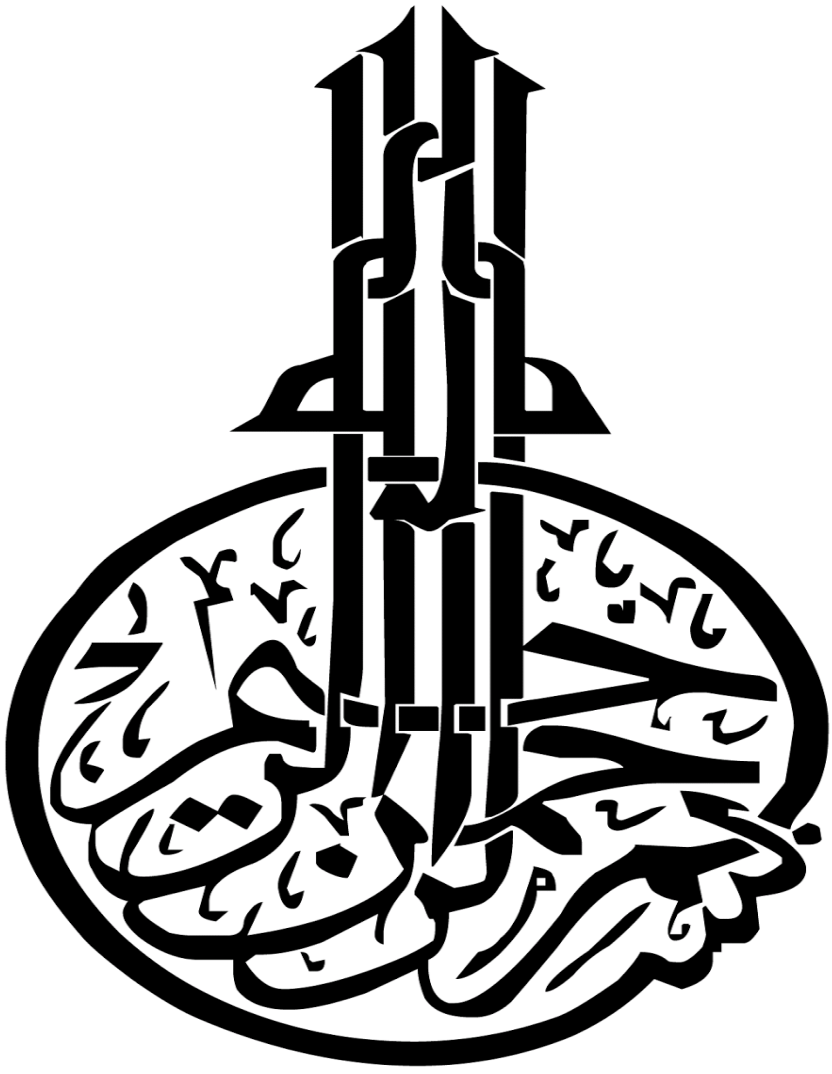

أثر الإسلام في شعر العباس بن مرداس السلمي دراسة في المضمون والشكل
محمد عبد الجواد محمد خليل
قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر- بإيتاي البارود
البريد الالكتروني:
gawad7441@yahoo.com

ملخص البحث

العباس بن مرداس من أشهر الشعراء المخضرمين الذين عاصروا الجاهلية والإسلام، ولما أسلم نظم شعرا كثيرا ظهرت فيه آثار الإسلام بوضوح، عالج فيه عدة موضوعات إسلامية، من أهمها قضية إسلامه ، ومدح النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وفتح مكة ، وغزوة حنين ، وكان الفخر ببني سليم هو العامل المشترك في كل موضوعات الشعر الذي نظمه العباس بعد إسلامه، كما كان إسلام شاعرنا سببا في ترك زوجه بيتها ولحوقها بأهلها، وقد ترجح من خلال البحث أن يكون هذا الشعر قد نظمه العباس بعد فترة من إسلامه.

وقد اتسم هذا الشعر بسمات فنية عرض لها البحث بشيء من التفصيل الذي يتوافق مع طبيعته ، من خلال دراسة اللغة من ألفاظ وأساليب ، وبناء القصيدة من مطلع وتخلص وختام ، كما درس الصورة الشعرية جزئية وكلية، كذلك درس موسيقىٰ الشعر فيما يعنىٰ به الجزء الخاص بهذا البحث .

الكلمات المفتاحية: أثر الإسلام – شعر العباس بن مرداس السلمي – المضمون والشكل.

the impact of Islam on the poetry of Al-Abbas bin Merdas Al-SulamiA study of content and form Prepare

Mohamed Abdel-Gawad Mohamed Khalil
Literature and criticism teacher At the Faculty of Arabic Language - Al-Azhar University Itay Al-Baroud Branch
Email: gawad7441@yahoo.com

Abstract:

Al-Abbas bin Merdas is one of the most famous poets who lived during the pre-Islamic era and Islam. When he embraced Islam، he composed a lot of poetry in which the effects of Islam were clearly visible، in which he dealt with several Islamic topics، the most important of which are the issue of his conversion to Islam، praise of the Prophet، may God bless him and grant him peace، the conquest of Mecca، and the Battle of Hunayn. And pride in Bani Sulaym was the common factor in all the topics of poetry that Al-Abbas organized after his conversion to Islam، just as the Islam of our poet was a reason for his wife to leave her home and follow her family.

This poetry was characterized by artistic features that the research presented in some detail that corresponds to its nature، through the study of the language of words and methods، and the construction of the poem from the beginning، conclusion and conclusion، as he studied the poetic image، partial and total، as well as studying the music of poetry in what the special part of this research means. .

And I ask God to make this work purely for His sake and to benefit Muslims with it.

Keywords: The impact of Islam - Al-Abbas bin Merdas Al-Sulami poetry - content and form.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف الخلق أجمعين ، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين . وبعد :-

فإن العباس بن مرداس السلمي من أشهر الشعراء المخضرمين، الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، وهو أحد فرسان بني سليم المعدودين، وسيد قومه، أمه الخنساء الشاعرة، ظل علىٰ دينه حتىٰ شرح الله صدره للإسلام قبيل فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ، وقد أسلم معه جماعة من قومه، فشاركوا في الفتح، ثم في حنين بعدها، وقد صور هاتين الغزوتين في شعره تصويرا دقيقا، يجمع بين الإبداع الشعري وبين البطولة والفروسية، فكان بحق فارسا وشاعرا، كما مدح النبي صلىٰ الله عليه وسلم وله شعر يصور فيه قصة إسلامه، ويحن فيه لزوجه التي فارقته ولحقت بأهلها إثر إسلامه، وفي كل ذلك تجد شعرا إسلاميا في اللفظ والمعنىٰ ، يختلف كل الاختلاف عن شعره المنظوم قبله، فبعد أن كان يواد اليهود ويناقض شعراء الإسلام بشأنهم، صار يمدح النبي صلىٰ الله عليه وسلم ويدافع عنه، ويهجو أعداء الإسلام، بل كان يقتل قرابته من أهل هوازن، الذين يلتقي معهم في جد واحد؛ فقد أصبح ولاؤه للإسلام وليس للنسب، كل ذلك جعل هذا الشعر جديرا بدراسة مستقلة، تظهر ما فيه من آثار أحدثها إسلامه .

وقد تبنت الدراسة المنهج التاريخي في أكثر من مجال مثل ترجمة الشاعر، وتناول الأحداث التاريخية من نحو الفتح المبين، وحنين وما ظهر خلالهما من بطولات عامة لجيش الإسلام ، أو خاصة مثل الإشارة إلىٰ

شجاعة العباس نفسه والضحاك بن سفان قائد بني سليم يومئذ، ثم الفخر بالأداء الرائع لبني سليم عامة في الغزوتين، كما كان للمنهج الفني نصيب وافر في دراسة النصوص الشعرية وبيان أثر الإسلام فيها، وتلمس أسرار التعبير، من هنا كانت هذه الدراسة التي وسمتها:" أثر الإسلام في شعر العباس بن مرداس السلمي دراسة في المضمون والشكل " .

وقد واجهت شيئا من الصعوبة لعدم تحديد تاريخ نظم القصائد لأن العباس نظم شعرا إسلاميا في صورة كاملة، تجعل القارئ في حيرة من أمره، أهذا الشعر نظمه صاحبه عقيب إسلامه مباشرة ؟ لأنه أسلم قبل فتح مكة بقليل فكيف يكتب فيه شعرا بهذه الصورة ؟ كما أن غزوة حنين كانت في العام نفسه وكتب فيها شعرا كثيرا جدا متأثرا فيه بمظاهر الإسلام، مما جعل الباحث يرجح أن العباس كتب هذا الشعر بعد فترة من وقوع هاتين الغزوتين.

وقد أعد الدكتور/ عبدالعظيم فيصل صالح بالاشتراك مع الدكتور/ خالد شكر محمود صالح بحثا بعنوان الاقتباس والتضمين في شعر العباس بن مرداس السلمىٰ، لكنه لا يتجاوز عشر صفحات، كما أعد الدكتور / شوادفي أحمد السيد علام بحثا بعنوان : جدلية القلق في شعر العباس بن مرداس الصحابي الشاعر يوم حنين، لكن هذا البحث لم يدرس إلا قصيدة واحدة عدتها تسعة عشر بيتا، نظمت بشأن حنين خاصة.

أما هذا البحث فيدرس شعره الإسلامي كله الذي بلغ أربعة وعشرين ومائتي بيت (٢٢٤)،وقسمته فصلين تسبقهما مقدمة وتمهيد.

ففي المقدمة بينت أهمية الموضوع وسر اختياره، وأهم الدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

وفي التمهيد أوجزت القول في ترجمة الشاعر.

أما الفصل الأول فدرست فيه قضايا المضمون الشعري، وتجلىٰ ذلك في: الحديث عن قصة إسلامه، ومدح النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وفتح مكة، وغزوة حنين، وقدمت دراسة المضمون؛ حتىٰ تظهر دراسة الشكل سمات هذا الشعر المدروس.

ثم كان الفصل الآخر، وتناولت فيه بالدراسة أهم السمات الفنية التي امتاز بها هذا الشعر الإسلامي، فتحدثت عن اللغة وشمل ذلك: الألفاظ والأساليب، وأتبعته بدراسة بناء القصيدة : من مطلع، وتخلص، وختام، ثم الصورة الشعرية بقسميها: الجزئية، والكلية، ثم أنماط الصورة، وأخيرا موسيقىٰ الشعر: الخارجية والداخلية.

بعد ذلك كانت الخاتمة التي أوجزت فيها أهم نتائج البحث، ثم فهرس بأهم المصادر والمراجع، وفي الأخير كان الفهرس العام .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين.

تمهيد:-

نبذة عن حياة العباس[1]

[1] لمزيد من التفاصيل حول ترجمة العباس: ينظر المصادر والمراجع الآتية : ديوان العباس بن مرداس السلمي د/ يحيي الجبوري: ٥ –٣٠ طبعة مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الأولي١٤١٢هـ –١٩٩١م، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني جـ١٤: ٣٠٢–٣٢٠ تحقيق / أحمد زكي صفوت دار الكتب المصرية (مطبعة وزارة التربية والتعليم) ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م، والشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري مجـ١: ٣٠٠ رقم ٢٩ تحقيق أحمد محمد شاكر دار المعارف القاهرة، الثانية ١٩٨٢م ، ومعجم الشعراء للمرزباني :٢٦٢ تحقيق سالم الكرنكوي دار الكتب العلمية بيروت لبنان الثانية ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تأليف / عبد القادر البغدادي تحقيق/ عبد السلام هارون جـ١: ١٥٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب الثانية ١٩٧٩م، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني جـ٣: ٥١٢ تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض دار الكتب العلمية بيروت لبنان الأولي ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي :٢٦٣ تحقيق/ عبد السلام هارون دار المعارف القاهرة الخامسة ١٩٨٢م، وسمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري :٣٢تحقيق/ عبد العزيز الميمني دار الكتب العلمية بيروت لبنان (مصورة عن طبعة لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة) ١٩٣٦م، وشعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه د/ يحيي الجبوري :٢١٣– ٢١٩ مطبعة الإرشاد العراق ١٣٨٤هـ –١٩٦٤م، والطبقات الكبرىٰ لابن سعد جـ٤ : ٢٧١ طبعة دار بيروت للطباعة والنشر لبنان ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م، وتاريخ الأدب العربي عمر فروخ جـ١ : ٢٧١دار العلم للملايين بيروت لبنان الرابعة ١٩٨١م، والأعلام لخير الدين الزركلي جـ٣ : ٢٦٧ دار العلم للملايين بيروت لبنان الخامسة ١٩٨٠م، ومعجم الشعراء المخضرمين والأمويين عزيزة فوال بابتي :٢٣٦ دار صادر بيروت لبنان

هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس، أمه الخنساء تما ضر بنت عمرو بن الشريد الشاعرة، وكان العباس فار سًا و شاعرًا، وهو من شعراء الإسلام وأبطاله المعدودين، أسلم قبل فتح مكة، وشارك فيه قائدًا لألف فارس من فرسان قومه، وكان له بلاء عظيم في فتح مكة، ومعركة حنين[1] .

كان العباس ممن حرّم الخمر علىٰ نفسه في الجاهلية و كان يعلل ذلك بقوله: " لا أشرب شرابًا أصبح سيد قومي، وأمسي سفيههم "[2] .

وهو من المؤلفة قلوبهم، ويدعي فارس العبيد بصيغة التصغير، وهو فر سه، وكان بدويًا قحًّا، لم يسكن المدينة أو مكة، وكان إذا حضر غزوة مع النبي ﷺ ما يلبث أن يعود إلىٰ ديار قومه [3].

أما عن إسلامه فقد ورد أنه كان قد خرج إلىٰ إبله وهو قاصد النبي ﷺ فبات عند إبله، فلما أصبح دعا براعيه، فأوصاه بإبله وقال له : من سألك عني فحدثه أني لحقت بيثرب، ولا أحسبني- إن شاء الله تعالىٰ- إلا

الأولىٰ ١٩٩٨م، ومعجم الشعراء من العصر الجاهلي حتي نهاية العصر الأموي- د/ عفيف عبدالرحمن : ١٤٤ دار المناهل بيروت لبنان الأولي ١٤١٧هـ٩٩٦م ، والشعراء المخضرمون د/ عبد الحليم حفني : ٢٩٠- الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٨٣م

[1] ينظر الديوان : ٥ .

[2] المحبر لأبي جعفر محمد بن حبيب : ٢٣٧ تحقيق إيلزة ليختن شتيتر دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان بدون

[3] ينظر الأعلام جـ٣ : ٢٦٧ .

آتيًا محمدًا وكائنا معه، فإن كان خيرًا لم أسبق إليه، وإن كان شرًا نصرته لخؤولته وأراني قد ألقيت عليّ محبة له، وأنا باذل نفسي دون نفسه، أريد بذلك رضا إله السماء، وانتهي الراعي إلىٰ إبله فأخبر امرأته بأمره، فقوضت بيتها ولحقت بأهلها(١).

وهذا يقودنا إلىٰ الحديث عن حياته بعد إسلامه، فقد كان قبل ذلك يواد اليهود ويبكي مصيرهم حين غزاهم النبي ﷺ، بل وصل الأمر أن دارت بينه وبين "خوات بن جبير "نقائض في هذه القضية(٢)، وكان العباس يري أن اليهود أقوي من المسلمين حتي إنه راهن " حويطب بن عبد العزىٰ" علىٰ هزيمة المسلمين في خيبر سنة سبع من الهجرة، فلما انتصر الرسول ﷺ أخذ منه حويطب مائة ناقة(٣).

وبعد إسلام العباس قدم المدينة علىٰ رسول لله ﷺ وواعده " قديدا"(٤) في ألف فارس من سليم شاركوا في فتح مكة، وقد افتخر بهم كثيرًا، من نحو قوله مثلًا (٥):

---

(١) ينظر الأغاني ١٤ : ٣٠٤ .

(٢) انظر الديوان مثلًا : ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) انظر مقدمة الديوان : ١٩ .

(٤) قديد: موضع قرب مكة. ينظر معجم البلدان جـ ٤ : ٣١٣ لياقوت الحموي طبعة دار صادر بيروت – لبنان – ١٩٧٧ م.

(٥) الديوان : ١٣٩ .

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسيل به البطاح مُسوّم

وفي غزوة حنين شارك العباس ومعه فرسان قومه بني سليم، وقد اعتز بهذه المشاركة، وافتخر بهم كثيرًا، ومن هنا جاء أكثر شعره الإسلامي متحدثًا عن فتح مكة، وحنين، و مديح النبي ﷺ، وبعض معان أخرىٰ سوف يتولىٰ البحث بيانها إن شاء الله .

ولعلّ تأخر إسلام العباس إلىٰ فتح مكة أو قبله بقليل يفسر تلك الروح الأعرابية التي احتفظ بها حتىٰ بعد إ سلامه، التي ظهرت جليًّا في قصة نصيبه من غنائم غزوة حنين، فقد أعطىٰ ﷺ الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة بعير لكل منهما ، وأعطي العباس أباعر فسخطها وقال [1] : (متقارب)

وكانت نهابا تلافيتها بكرىٰ علىٰ المهر في الأجرع

فأصبح نهبي ونهب العبيـ د بين عيينة والأقرع

وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فانظر إلىٰ هذه النزعة الأعرابية التي جعلته حتي بعد إسلامه يذكر الآباء فيوازن بين أبيه وأبويهما، في نعرة جاهلية لا يزال يحتفظ بها، "فالروح القبلية، والاعتزاز بالقوم، والفخر بهم، ذلك أهم ما يميز شعر العباس في الإسلام "[2] .

---

[1] الديوان : ١١١ .

[2] شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه د / يحيىٰ الجبوري : ٢٢٠– مكتبة النهضة – بغداد – العراق الأولىٰ– ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م .

توفي سنة١٨ هـ وقيل إن سنة وفاته غير معلومة ، حتي إن ابن حجر يشير – مترددًا – إلىٰ أنه مات في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه[١]

وهو أيضًا من الفرسان الشعراء، وأشعر إخوته وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم[٢]، وللفروسية صدىٰ بعيد في شعره، وإن " الدراس لشعر العباس يجد فيه صفحات مشرقة للبطولة والفروسية وصفحات أخري للتغني بالإسلام وأمجاده وانتصاراته، وفيه كذلك ثروة كبيرة في المعاني واللغة، وفيه دلالة علىٰ المواضع، وعلىٰ العصر وأحداثه ومثله وقيمه "[٣] .

❁❁❁❁❁

[١] ينظر مقدمة الديوان : ٢٥ .

[٢] ينظر الأغاني ١٤ : ٣١٨ .

[٣] الديوان : ٢٨ .

الفصل الأول

أثر الإسلام في المضمون الشعريّ

بعد أن أسلم العباس وتشرّبت روحه مبادئ الإسلام السمحة، وتشبعت بها نفسه، راح يُضمن أشعاره روح الإسلام وألفاظ القرآن، فتأثر شعره بألفاظ القرآن ومعانيه، وبدا ذلك واضحًا فيما عاصره من أحداث إسلامية صورها في شعره مثل : إسلامه، ومدح النبي ﷺ، وفتح مكة، وغزوة حنين، وفي كل ذلك كان العباس يمزج بين المعني الذي يتحدث فيه، وبين الفخر بنفسه وشجاعته وبطولات قومه من بني سليم، ولكن المعروف أن العباس كان قد أسلم قبيل الفتح وكانت غزوة حنين عقيبه مباشرة، يفصل بينهما عدة أشهر، فهل كانت هذه المدة القصيرة كافية لأن يستوعب العباس ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه ومن ثَمَّ يضمنها أشعاره ؟! ناهيك عن كونها فترة جهاد وانشغال بحرب الأعداء، إذن فالبحث يميل إلىٰ أن هذه الأشعار التي نظمها شاعرنا في ظلال الإسلام قد كتبت بعد فترة ليست قصيرة من تاريخ إسلامه، أو بعد وقوع هذه الأحداث التي تناولها في شعره؛ لأن تأثر الشاعر بالإسلام عامة وبأساليب القرآن خاصة لا يمكن أن يحدث بهذه الصورة التي رأيناها في شعره إلا بعد فترة من مدار سة القرآن وحفظه والتأثر بأساليبه، بعد أن تشبعت بها نفسه، لأن أثر الإسلام والقرآن ظاهر جلي في شعره.

وقد تمثل تأثير الإسلام على المضمون الشعري في أمور منها :-

أولًا : إسلام العباس :

سبق أن عرضت قصة إسلام العباس في، وقلت إن زوجه عندما علمت بإسلامه قوضت بيتها ولحقت بأهلها، ثم إنها نظمت في ذلك شعرًا تؤنبه فيه، ومنه[1] (طويل)

لعمري لئن تابعت دين محمد وفارقت إخوان الصفا والصنائع
لبدلت تلك النفس ذلا بعزة غداة اختلاف المرهفات القواطع

تري زوجه أن إسلامه يضع من قدره فيجعله مجرد فرد في المسلمين بعد أن كان سيد قومه، لكنه كان قد ارتضىٰ الإسلام دينًا، ولم يثنه حب الرياسة والزعامة عن هذا التوجه، فقال [2]: (طويل)

عفا مجدل من أهله فمتالع فمطلا أريك قد خلا فالمصانع
ديار لنا يا جمل إذ جل عيشنا رخي وصرف الدهر للحي جامع
حبيبة ألوت بها غربة النوىٰ لبين فهل ماض من العيش راجع
فإن تبتغي الكفار غير ملومة فإني وزير للنبي وتابع[3]

---

[1] الأغاني ١٤ : ٣٠٦ .

[2] الديوان : ١٠٧ .

[3] مجدل:اسم بلد طيب إلىٰ جانبه تلّ عليه قصر وفيه أسواق كثيرة. ينظر معجم البلدان ٥: ٦٥ متالع : جبل بنجد وفيه عين ماء يقال لها الخرارة، ينظر معجم البلدان ٥ : ٥٢ . أريك : اسم جبل في بلاد بني سليم، ينظر معجم البلدان ١ : ١٦٥ ، ومطلا أريك : المطل : الأرض السهلة اللينة ، ينظر لسان العرب (طلي) المصانع : القصور، أو أحباس تتخذ للماء . ينظر معجم البلدان ٥ : ١٣٦ . ألوت لها : غيرتها (لوي) .

عبر عنها بصيغة التصغير؛ رقة، وحبًا، وتوددًا، وإمعانًا في التمسك بها علىٰ الرغم من فراقها إياه، لكنه لا يزال علىٰ عهده في الوفاء وإخلاص الحب لها (غير ملومة)، ونلحظ ألفاظًا جديدة مثل (الكفار- النبي) وذلك من آثار الإسلام في شعره .

ويلح شاعرنا علىٰ تأكيد التزامه بالإسلام وأنه لن يعود إلىٰ الكفر حتي وإن كان الثمن فراق زوجه الحبيبة إلىٰ قلبه، يقول العباس في هذا المعني[1]: (طويل)

فإن تتبع الكفار أم مؤمل فقد زودت قلبي علىٰ نأيها شغفا
وسوف ينبيها الخبير بأننا أبينا ولم نطلب سوىٰ ربنا حلفا

ومطلع هذه القصيدة يذكرنا بمطلع دالية " دريد بن الصمة" التي رثي فيها أخاه "عبدالله " ومطلعها[2] : (طويل)

أرث جديد الحبل من أم معبد بعاقبة وأخلفت كل موعد

وسوف أزيد هذا الأمر وضوحًا في السمات الفنية (الاقتباس والتضمين)، وهنا نلحظ ألفاظًا إسلامية مثل (تتبع الكفار- ينبيها الخبير - ربنا حلفا) وهي تدل علىٰ تشبع صاحبها بمعاني الإسلام، وهذا كله بقضاء من الله لابد من إنفاذه، فليس لأمر قدره الله من دافع، يقول العباس في هذا المعني[3] : (طويل)

ولكن دين الله دين محمد رضينا به فيه الهدي والشرائع

---

[1] الديوان : ١١٤ .

[2] ديوان دريد بن الصمة: ٥٧ تحقيق عمر عبد الرسول دار المعارف، القاهرة، بدون .

[3] الديوان : ١٠٩ .

أقام به بعد الضلالة أمرنا ولـيس لأمر حمه الله دافع

يتحدث عن الإسلام كأنه عاش في ظلاله دهرًا، فتقرأ (دين الله دين محمد)،(فيه الهدىٰ والشرائع)،(أقام به بعد الضلالة أمرنا)،(وليس لأمر حمه الله دافع)، فالبيتان أثر واضح من آثار الإسلام في شعر العباس، وهذا يرجح ما قلته من أن نظم العباس هذا الشعر الإسلامي كان بعد فترة من إسلامه، فليس مرجحًا عندي أن شاعرًا قد أسلم منذ عدة أشهر ينظم شعرًا بهذا الشكل .

لكن أظهر النماذج الدالة علىٰ إسلام العباس هو الذي يقول فيه:[1](طويل)

لعمري إني يوم أجعل جاهدًا ضماراً لرب العالمين مشاركا

وتركي رسول الله والأوس حوله أولئك أنصار له، ما أولئكا

كتارك سهل الأرض، والحزن يبتغي ليسلك في غيب الأمور المسالكا

فآمنت بالله الذي أنا عبده وخالفت من أمسىٰ يريد الممالكا

ووجهت وجهي نحو مكة قاصداً وتابعت بين الأخشبين المباركا

والأبيات كلها أثر واضح من آثار الإسلام في شعر العباس، فمو ضوعها الأساس : عقد موازنة بين من يقيم علىٰ الكفر وعبادة الأصنام، وبين من هداه الله إلىٰ الإسلام وقد خص بها نفسه، معلنًا اختياره طريق الله، ومتابعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

❁❁❁❁❁

[1] الديوان : ١٢٠ .

ثانيًا : مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

بعد أن أسلم العباس، واتصل بالنبي ﷺ ورأي من شمائله وحسن خلقه مالم يكن يتوقع أن يتحلىٰ به بشر، انطلق لسانه مادحا خير البشر، من نحو قوله[1]:(كامل)

يا خاتم النُّبَآءِ إنك مرسل بالحق كل هدي السبيل هداكا

إن الإله بنىٰ عليك محبة في خلقه ومحمدا سماكا[2]

هذا أثر من آثار الإسلام التي حفل بها شعر شاعرنا محل الدراسة، إذ بدأ قصيدته بوصف خاص بالنبي ﷺ ،ولم يذكره باسمه تأدبا والتزاما بمنهج القرآن: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [3] .

وفي مدائح العباس للنبي ﷺ قد يعرج علىٰ شيء من فضائل القرآن، تلك المعجزة التي أيَّد الله بها نبيه، وتحدىٰ بها أرباب الفصاحة واللسان فعجزوا، كما أنه قد يذكر أسماء بعض الأنبياء السابقين، وقد يعرض النسب الشريف، يقول [4]:(طويل)

نبيٌ أتانا بعد عيسىٰ بناطق من الحق فيه الفصل منه كذلكا

---

(١) الديوان:١٢٢ .

(٢) النبآء: جمع نبئ بالهمز وهي لغة أهل مكة، والنبيء من النبأ وهو الخبر المهم، وسمي النبي بذلك لأنه يخبر عن الله عز وجل، والأجود ترك الهمز، وهو فعيل بمعني فاعل أو مفعل مثل نذير بمعني منذر، وتجمع أيضًا علي أنبياء وهو الأشهر، وقد استشهد صاحب لسان العرب بهذا البيت . ينظر لسان العرب مادة (نبأ) .

(٣) سورة النور :٦٣ .

(٤) الديوان : ١٢١ .

رأيتك يا خير البرية كلها توسطت في القربىٰ من المجد مالكا

ومن الملحوظ علي هذه القصيدة أن العباس تحدث فيها عن قصة إسلامه وإحراقه صنمه (ضمارا) ولحوقه بالنبي ﷺ وإعلان إسلامه، ثم تجده يتحدث في مدح الرسول الكريم، وعن نسبه الشريف، وعن أسماء القرآن، وعن شفاعة النبي ﷺ، كل هذا يؤيد ما ذكرت من قبل من أن شعر العباس الإسلامي قد تأخر نظمه فترة .

والنبي ﷺ مؤيد من قبل الحق سبحانه وتعالىٰ، فإذا طلب من ربه النصر وأخذ بالأسباب المادية، فإن الله ناصره بإذنه سبحانه، يقول العباس في هذا المعني[1]:

من مبلغ الأقوام أن محمدًا رسول الله راشد حيث يمَّمَا

دعا ربه واستنصر الله وحده فأصبح قد وفي إليه وأنعما[2]

فبعد إسلام العباس وحبه الخير للناس جميعًا أراد لهم أن يدخلوا في الإسلام فينقذوا أنفسهم من النار، ويستشهد بكون الرسول ﷺ مستجاب الدعوة، لكن ذلك لا يمنع أحدًا من المسلمين أن يدعو له ﷺ، يقول شاعرنا[3] (طويل)

جزي الله خيرا من نبي محمدا وأيده بالنصر والله ناصره

---

(١) الديوان :١٢٢ .

(٢) التفعيلة الأولىٰ من البيت الأول دخلها الخرم، وهو حذف أول الوتد المجموع من أول تفعيلة البيت. ينظر العروض القديم د/ محمود علي السمان :٢٠١ طبعة دار المعارف القاهرة – الثانية – ١٩٨٦م .

(٣) الديوان : ٨٤ .

وفي إيثار الشاعر الجملة الاسمية (والله ناصره) ما يدل علي التأييد الدائم من الله لرسوله ﷺ .

ولأن النبي ﷺ مؤيد من ربه، فهو خير الخلق، وكل من حاول أن يوازن بينه وبين غيره من الخلق فهو خاسر لا محالة، يقول العباس[1]: (وافر)

ألا من مبلغ غيلان عني ... وسوف- إخال- يأتيه الخبير
وعروة إنما أهدي جوابا ... وقولا غير قولكما يسير
بأن محمدا عبد رسول ... لرب لا يضل ولا يجور
وجدناه نبيا مثل موسي ... فكل فتىً يخايره مخير

تشيع في الأبيات روح الإسلام ومعانيه، ولا يصدر ذلك إلا عن نفس تشبعت بتعاليم الإسلام وعكفت علي كل ما يرضي الله ورسوله، فانعكس هذا علىٰ الألفاظ التي أصبحت تستمد من المعجم الإسلامي.

ومادح الرسول ﷺ مستعد لأن يفديه بنفسه وأهله وماله، يقول العباس[2]:(الوافر)

فديت بنفسه نفسي ومالي ... ولا آلوه إلا ما يطيق

ولما ولد النبي ﷺ أضاء نوره الكون، وفي هذا المعنىٰ يقول[3]: (البسيط)

(١) الديوان : ٦٨ .
(٢) الديوان :١١٩ .
(٣) الديوان :١١٩.

وأنت لما ولدت أشرقت الـ أرض وضاءت بنورك الأفق
من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق(١)

وقد تأثر كثير من الشعراء بهذا المعني ، يقول الإمام البوصيري يقول(٢): (خفيف)

لم تزل في ضمائر الكون تختا ر لك الأمهات والآباء

ومن أهم مدائح العباس للنبي ﷺ تلك السينية التي بدأها بقوله(٣):(كامل)

يا أيها الرجل الذي تهوي به وجناء مجمرة المناسم عرمس
إما أتيت علىٰ النبي فقل له حقا عليك إذا اطمأن المجلس
يا خير من ركب المطي ومن فوق التراب إذا تعد الأنفس
بك أسلم الطاغوت واتبع الهدي وبك انجلى عنا الظلام الحندس(٤)

---

(١) قوله (ضاءت بنورك الأفق) أنث الفعل والفاعل مذكر إما باعتبار كون (الـ) في الأفق للجنس مثل قوله تعالىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [سورة النور:٣١] ، فيكون المعني ضاءت الآفاق، أو علىٰ تقدير مضاف محذوف أي : ساحة الأفق، كما في قول الحق: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة المزمل:١٨].

(٢) ديوان الإمام البوصيري (محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري): ٣٤ تحقيق محمد سيد كيلاني مصطفي البابي الحلبي وشركاه القاهرة الأولي ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥م.

(٣) الديوان : ٨٧ ، ٨٨ .

(٤) وجناء : أصل الوجناء الصخرة أو الأرض الصلبة، والمراد بها هنا الناقة التامة الخلق الغليظة لحم الوجنة، الصلبة الشديدة . اللسان (وجن) . =

والتعبير بالنبوة أثر من آثار الإسلام، وهو ﷺ خير من ركب وخير من مشىٰ علىٰ الأرض، بل هو خير الخلق جميعًا إنسهم وجنّهم، وهو الذي أخرجهم من ظلمات الشرك إلىٰ أنوار الإيمان ، ويبدو أن العباس كان مُغرمًا بهذا المعني، فرأيناه راح يكرره أكثر من مرة، من نحو قوله [1]:(طويل)

رأيتك يا خير البرية كلها ... نشرت كتابًا جاء بالحق معلما

ونورت بالبرهان أمرا مدمسا ... وأطفأت بالبرهان نارًا مضرما

فمن مبلغ عني النبي محمدًا ... وكل امرئ يجزىٰ بما قد تكلما

تعالىٰ علوا فوق عرش إلهنا ... وكان مكان الله أعلىٰ وأعظما[2]

والمعاني متقاربة مع الأنموذج السابق، لكن لي بعض ملحوظات على هذا الأنموذج، أهمها :

أولًا : كرر الشاعر الشطر الأول من البيت الأول(رأيتك يا خير البرية كلها) بنصه في قصيدة أخرىٰ سبق عرضها وهي التي تحكي قصة إسلامه[3].

ثانيًا : رويت بعض هذه الأبيات لأحد الصحابة، وهو (سلمة بن عياض، ففي الإصابة ذكر ابن حجر بيتين نسبهما لسلمة وهما قوله[4]: (طويل)

=المجمرة : المجتمعة الخلق وفيه دلالة علىٰ قوتها . اللسان (جمر)

المناسم : جمع منسم وهو مقدم طرف خف البعير . ينظر اللسان (نسم) .

عرمس : أصلها الصخرة ، وتشبه بها الناقة الشديدة القوية (عرمس) .

الظلام الحندس : الليل الشديد الظلمة . ينظر لسان العرب (حندس) .

(١) الديوان : ١٤٥ .

(٢) الأمر المدمس : الشديد الظلمة . ينظر اللسان (دمس) .

(٣) ينظر الديوان : ١٢١ .

(٤) ينظر الإصابة جـ٣ : ١٢٨ .

رأيتـك يا خير البريـة كلهـا نشـــرت كتابًا جاء بالحق معلما
شرعت لنا فيه الهدى بعد رجعنا عن الحق لما أصبح الأمر مظلما

والبيت الأول منهما متوافق تمامًا، لفظًا ومعنىٰ مع بيت العباس بن مرداس، أما الأخير فمعناه قريب من بيته الثاني، لكنني أرجح نسبة الأبيات إلىٰ العباس؛ لأن تكرار الشطر الأول في أكثر من قصيدة له يرجح ذلك، كما أن أبيات العباس التي يتحدث فيها عن إسلامه قد وردت أيضًا في أكثر من مصدر أدبي مثل الأغاني(١)، والعقد الفريد(٢).

ثالثا: قول الشاعر: فمن مبلغ عني النبي محمدًا .... البيت لم يذكر فيه الشاعر ولا بعده مفعول (مبلغ) أعني مضمون الرسالة التي يريد إبلاغها إلىٰ النبي ﷺ ؛ لأن الشطر الأخير من البيت عبارة عن جملة اعتراضية وقد رويت الأبيات بطريقة أخرىٰ فيها بيت خامس يحوي مضمون هذه الرسالة، يقول فيه (٣):

فمن مبلغ عني النبي محمدا وكل امرئ يجزىٰ بما كان قدما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه وكان قديمًا ركنه قد تهدما

فهذا البيت الأخير هو مضمون الرسالة، أو مقول القول كما في عرف النحاة.

(١) ينظر الأغاني جـ ١٤ : ٣٠٥ .

(٢) ينظر القصة والأبيات في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي جـ١ : ٣٣٧ تحقيق مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الأولىٰ ١٩٨٣م.

(٣) البداية والنهاية مجـ ٥ – جـ٩ : ٢٨٣ .

الملحوظة الأخيرة : قول الشـــاعر:(تعالىٰ علوا فوق عرش إلهنا ... البيت) ضـبط محقق الديوان كلمة (عرش) بدون تنوين أعني أنه نوىٰ إضـافتها إلىٰ كلمة (إلهنا)، والكلام للنبي ﷺ ، مما يعني وصـــوله ﷺ إلىٰ ما فوق العرش وذلك ليلة الإســراء والمعراج، أو أنه يكني بذلك عن علو منزلته ﷺ ، والباحث يرجح هذا المعنىٰ الأخير، لكن الشـــاعر قد خانه التعبير، ويمكننا الخروج من هذا التأويل بضـــبط الكلمتين ضـــبطًا آخر يتوافق مع الوزن العروضي للبيت هكذا : تعالىٰ علوا فوق عرش إلهنا بجر كلمة عرش لإضـــافتها لكلمة (فوق) ورفع كلمة (إلهنا) علىٰ أنها فاعل للفعل (تعالىٰ) وبـذلـك يكون المعني مقبولاً، ويصـــبح الشـــطر الأخير من البيـت بمنز لة التوكيد للمعني الوارد في الشطر الأول .

ثالثًا: فتح مكة (١):

حديث العباس عن فتح مكة حديث المقاتل البارع في تصوير المشهد الحربىٰ، الذي يصور المعركة تصوير الخبير بكل دقائقها، لأنه يصور واقعًا يحياه، ويشارك فيه بنفسه، وهو دائمًا ما يمزج هذا الحديث بالفخر بنفسه، وبقومه وحسن بلائهم في المعركة، وفخره بقومه يكاد يطغىٰ علىٰ كل شيء، وهو ما يوضح الروح القبلية التي ظلت مسيطرة علىٰ العباس في كل مراحل حياته، حتىٰ بعد إسلامه، كما يشير إلىٰ اعتزازه بقومه بنىٰ سليم، وحرصه علىٰ إظهار الانتماء للقبيلة، يقول العباس مصورًا بعض الأحداث التي وقعت إبَّان فتح مكة، مفتخرًا بجيش الإسلام عامة، وببني سليم خاصة، مشيرًا إلىٰ كثرة عددهم وعتادهم(٢): (الطويل)

سـرينا وواعدنا قديدا محمدا ... يؤم بنـا أمرا من الله محكمـا
تمـاروا بنـا في الفجر حتىٰ تبينوا ... مع الفجر فتيـانـا وغـابـا مقومـا
علىٰ الخيل مشدودا علينا دروعنا ... ورجلا كدفاع الأتي عرمرما(٣)

(١) ينظر تفاصيل فتح مكة في البداية والنهاية مجـ٢ جـ٤ :٢٩٣

(٢) الديوان: ١٤١.

(٣) قديدًا: اسم موضع قرب مكة، ونصبه هنا علىٰ الظرفية، وصرفه للضرورة الشعرية، وإلا فإنه ممنوع من الصرف للعملية والتأنيث.

الغاب: جمع غابة، وهي الرماح، وأصلها الرماح الطويلة التي يرىٰ لها أطراف مثل الأجمة، وقيل هي الرماح المجتمعة. ينظر اللسان (غيب).

الرجل: جمع راجل وهو الذي يمشىٰ علىٰ رجله في المعركة (المشاة).=

يصور الجيش الإسلامي في كثرة عدده بالسيل الدفاع الذي يبيد ويزيل كل ما في طريقه؛ تهديدًا ووعيدًا للعدو، ويواصل العباس وصف هذه الغزوة، فيقول[1]: (طويل)

فإن سـراة الحىٰ إن كنت سـائلا ... سـليم وفيهم منهمُ من تسـلما
وجند من الأنصـار لا يخذلونه ... أطاعوا فما يعصـونه ما تكلما
فإن تك قد أمرت في القوم خالدا ... وقـدمـتـه فـإنـه قـد تـقـدمـا
بـجـنـد هـداه الله أنـت أمـيـره ... تصيب به في الحق من كان أظلما

ربما كان مقصد الشاعر بكلمة الحى هنا: الجنود المشاركون في الفتح الأعظم، والسراة: سادة القوم وخيارهم، ويعنىٰ بهم قومه بنىٰ سليم، مشيرًا بذلك إلىٰ شدة بأسهم، وحسن بلائهم، بدليل العطف (وجند من الأنصار..)، وذكر هؤلاء لا يعنىٰ التقليل من شأن غيرهم، بل المراد أنهم أهم مظاهر القوة في جيش الإسلام.

ولعلك تلحظ تقدم الجواب علىٰ الشرط (فإن سراة الحىٰ....) وفي ذلك ما فيه من المسارعة إلىٰ ذكر المطلوب قبل مقدماته ، أما قوله: وفيهم

=دفاع: كثرة الماء وشدته، أو الكثير من الناس، ومن السيل ومن جرىٰ الفرس إذا تدافع سيره . ينظر اللسان (دفع).

الأتي: شدة انحدار الماء، أو النهر يسوقه الرجل إلىٰ أرضه (أتىٰ).

عرمرم: الكثير من كل شيء، وجيش عرمرم: كثير العدد. ينظر اللسان (عرم)، وهو يشبه الجيش الإسلامي في كثرة عدده بالسيل الجارف الذي يزيل كل ما في طريقه، وهو أمر محسوس أقرب إلىٰ الواقع في بيئة صحراوية ترابية مثل أرض الجزيرة العربية .

(١) الديوان: ١٤٢ .

منهم من قد تسلما، فمعناه أن أناسًا رغبوا أن يلحقوا ببنىٰ سليم في مقدمة الصفوف فنالوا من الشرف كما نال السلميون، واقتصاره علىٰ ذكر الأنصار لا يعنىٰ إغفاله غيرهم من المهاجرين، بل هو من باب الاكتفاء بذكر أحد الطرفين كما في قول الحق قوله تعالى: ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ (١).

ويواصل العباس تصوير الأحداث في شعره بصورة تحكىٰ الواقع في إحكام وجميل نظم، يقول من القصيدة نفسها(٢): (الطويل)

حلفت يمينا برة لمحمد ... فأكملتها ألفا من الخيل ملجما
وقال نبي المؤمنين تقدموا ... وحب إلينا أن نكون المقدما
وبتنا بنهي المستدير ولم يكن ... بنا الخوف إلا رغبة وتحزما
أطعناك حتىٰ أسلم الناس كلهم ... وحتىٰ صبحنا الجمع أهل يلملما
يضل الحصان الأبلق الورد وسطه ... ولا يطمئن الشيخ حتىٰ يسوما (٣)

في هذا الجزء من القصيدة يحكىٰ العباس ما كان بين بنىٰ سليم ورسول الله ﷺ من الاتفاق علىٰ تجهيز ألف فارس من سليم يشاركون في الفتح، كما عقد لهم لواء أحمر وكانوا في المقدمة كما طلبوا، وقد ألح العباس كثيرا علىٰ

(١) سورة النحل: ٨١.

(٢) الديوان: ١٤٢.

(٣) الخيل: الفرسان، وقد تطلق علىٰ الخيول نفسها. ينظر لسان العرب (خيل)
نهي المستدير: اسم موضع في الحجاز. ينظر الديوان: ١٤٢ هامش ١٢.
يلملم: اسم موضع علىٰ بعد ليلتين من مكة، وهو ميقات أهل اليمن وفيه مسجد معاذ بن جبل. ينظر معجم البلدان جـ٥: ٤٤١. الأبلق: الحصان الذي فيه بياض وسواد، ينظر اللسان (بلق).

مسألة الألف فارس هذه وكررها كثيرًا[1]، كذلك الحال عندما يعرض للحديث عن شجاعة قومه السلميين، الذين لا يزيدهم جو المعارك إلا حزما وتقدما للصفوف الأولىٰ، وهذا حالهم الدائم لأنهم أبطال مغاوير وأرباب خبرة ودراية بأمور الحروب وقيادتها.

وفي ملمح آخر نرىٰ العباس يضيف الفتح إلىٰ النبي ﷺ ، يقول[2]: (كامل)

منا بمكة يوم فتح محمد ... ألف تسيل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه ... وشعارهم يوم اللقاء مقدم
في منزل ثبتت به أقدامهم ... ضنك كأن الهام فيه الحنتم
جرت سنابكها بنجد قبلها ... حتىٰ استقاد لها الحجاز الأدهم
عود الرياسة شامخ عرنينه ... متطلع ثغر المكارم خضرم[3]

(١) ينظر الديوان صفحات : ٨٣، ٨٨، ٩٩، ١١٥، ١٣٩، ١٤٢ مثلًا .

(٢) الديوان : ١٣٩ .

(٣) البطاح: جمع بطحاء وهي مسيل فيه دقاق الحصىٰ، وبطاح مكة: مسيل واديها، وهو التراب السهل في بطونها مما جرته السيول (بطح).مسموم: عليه علامة تميزه عن غيره، وهو اسم مفعول من الفعل (سوم).الهام: جمع هامة وهي الرأس. ينظر (هوم).
الحنتم: جمع حنتمه وهي جرار حمر كانت تحمل إلىٰ المدينة فيها الخمر (حنتم).
سنابكها: جمع سنبك وهو طرف الحافر وجانباه من قدم الفرس (سنبك).
مزحم: زُحم: من أسماء مكة شرفها الله (زحم) وجد مزحم أي من أهل مكة.
عود: الرجل المسن (عود). العرنين: أول الأنف حيث يكون فيه الشمم (عرن).
الخضرم: أصله البحر الكثير الماء، والمراد به هنا الرجل الجواد كثير العطاء تشبيهًا له بالبحر(خضرم).

وإضافة الفتح إلىٰ النبي ﷺ لأنه كان الفاعل المباشر له، وإن كان الحق سبحانه هو الفاعل الحقيقي :﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾(١) ؛ لأنه ﷺ كان القائد الأعلىٰ يومئذ، ويسر الله له ولصحابته الفتح، مع الأخذ بالأسباب.

وانطلاقًا من انتماء العباس واعتزازه بقومه تجد حديثه في الأبيات كلها معتمدًا ضمير الجمع (منا – نصروا – شاهدوا – شعارهم – أقدامهم – لنا) وهو أمر شائع في شعره الإسلامي، ونابع من حبه لقومه وحرصه علىٰ مصالحهم، وإظهارهم في أبهي صورة وأجملها أمام سائر العرب، وهي عصبية مقبولة لأن قوامها حب الأهل والوطن.

وأختم حديث العباس عن فتح مكة بهذه القصيدة الرائعة التي تصور المعركة تصويرًا دقيقًا بكل تفاصيلها، يقول(٢): (الطويل)

وأنا مع الهادي النبي محمد ... وفينا ولم يستوفها معشر ألفا
بفتيان صدق من سليم أعزة ... أطاعوا فما يعصون من أمره حرفا
خفاف وذكوان وعوف تخالهم ... مصاعب زافت في طروقتها كلفا
كأن نسيج الشهب والبيض ملبس ... أسودا تلاقت في مراصدها غضفا
بنا عز دين الله غير تنحل ... وزدنا على الحي الذي معه ضعفا
بمكة إذ جئنا كأن لواءنا ... عقاب أرادت بعد تحليقها خطفا
على شخص الأبصار تحسب بينها ... إذا هي جالت في مراودها عزفا
غداة وطئنا المشركين ولم نجد ... لأمر رسول الله عدلا ولا صرفا

(١) سورة الفتح : الآية ١ .

(٢) الديوان: ١١٥.

بمعترك لا يسمع القوم وسطه لنا زجمة إلا التذامر والنقفا
ببيض تطير الهام عن مستقرها ونقطف أعناق الكماة بها قطفا
فكائن تركنا من قتيل ملحب وأرملة تدعو على بعلها لهفا
رضا الله ننوي لا رضا الناس نبتغي ولله ما يبدو جميعا وما يخفي[1]

على عادة العباس نجده يصف يوم الفتح الأعظم أجمل وصف وأوفاه، لكنه يمزج هذا الوصف بالفخر بقومه، أولئك الفرسان الألف الذين حضروا

(١) خفاف وذكوان وعوف: أسماء بطون من بني سليم.
مصاعب: جمع مصعب وهو الفحل الذي يترك للفحلة فقط (صعب).
زافت: يقال: زاف إذا وثب في خفة (زوف). طروقتها: يقال: طرق الفحل الناقة إذا وثب عليها ليضربها (طرق).
كلفًا: الكلفة لون يعلو الجلد فيغير لونه وهو بين السواد والحمرة (كلف)
نسيج الشهب: يقصد خامات الدروع التي يلبسها الجنود.
مراصدها: جمع مرصد وهو اسم مكان من رصد أي حيث يرصد بعضهم بعضا.
الغضف: جمع أغضف وهو المسترخي الأذن. (غضف).
المراود: جمع مراد بفتح الميم وهو اسم مكان من راد الحيوان إذا أقبل وأدبر(رود)
العزف: الصوت الواضح (عزف).
العدل والصرف: العدل: الفدية، والصرف: التطوع، وقيل الصرف: الحيلة والعدل:السوية، وقيل غير ذلك، ينظر لسان العرب (عدل).
الزجمة : الصوت (زجم).
التذامر : الحث مع لوم واستبطاء (ذمر).
النقف: كسر الرؤوس (نقف).
ملحب: مقطع، ولحبه: ضربه بالسيف ينظر اللسان (لحب).

هذا اليوم، ووفاؤه لبنىٰ سليم جعله يكاد ينسىٰ نفسه وسط هذا الجو المفعم بالفخر وبالعزة التي حققها هؤلاء الجند، فتجد الضمائر كلها جمعًا من نحو (وإنا – وفينا – بنا – زدنا – جئنا – لواءنا – وطئنا – لنا – نقطف – تركنا – ننوىٰ – نبتغىٰ)، وليس هذا فحسب بل إنه يعدد أسماء بعضهم أو قبائلهم (خفاف وذكوان وعوف)، ويصفهم بأنهم (أسود) في مظهر من أهم مظاهر الانتماء الوطني الذي تحلىٰ به العباس عصبية لقومه، وحبًا لهم، من هنا نلحظ سيطرة الفخر بقومه علىٰ وصف المعركة .

وبذلك يكون البحث قد عرض أهم القضايا التي تناولها العباس في فتح مكة، لننتقل إلىٰ الموضوع التالي وهو:

رابعًا: غزوة حنين(١):

أكثر شعر العباس الإسلامي نظمه في غزوة حنين، يقول الدكتور/ يحيىٰ الجبوري: "أما في حنين فأكثر ما قيل من الشعر للعباس بن مرداس الذي أسلم قبل فتح مكة بقليل، وأكثر شعره فخر بنصر بنىٰ سليم (قومه) لرسول الله حين واعده في قديد، وعلىٰ الرغم من حداثة إسلام العباس فإن أثر الإسلام في شعره واضح متميز، ويمتزج في شعره المعنىٰ الجاهلي بالمعنىٰ الإسلامي"(٢).

وفي الحديث عن غزوة حنين، نرىٰ العباس يوجه إنذارًا شديد اللهجة إلىٰ قبائل هوازن مهددًا إياهم، واثقًا من النصر عليهم، فيقول(٣): (بسيط)

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها ... مني رسالة نصح فيه تبيان
أني أظن رسول الله صابحكم ... جيشا له في فضاء الأرض أركان
فيهم أخوكم سليم غير تاركم ... والمسلمون عباد الله غسان
وفي عضادته اليمنىٰ بنو أسد ... والأجربان بنو عبس وذبيان
تكاد ترجف منه الأرض رهبته ... وفي مقدمه أوس وعثمان(٤)

(١) ينظر تفاصيل هذه الغزوة في البداية والنهاية مجـ٢ – جـ٤: ٣٣٩.

(٢) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه د/ يحيىٰ الجبوري: ٢٩٠ مكتبة النهضة بغداد العراق الأولىٰ ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

(٣) الديوان: ١٥٥.

(٤) غسان: اسم ماء نزل عليه بنو مازن بن الأزد، وهم الأنصار وبنو جفنة وخزاعة، فسموا به، والمراد بهم هنا الخزرج. ينظر معجم البلدان جـ٤: ٢٠٣. عضادته: كل ما يعتضد به الانسان أي يتقوىٰ به قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [سورة القصص:٣٥]. أوس: المراد بهم الأوس سكان المدينة المنورة. عثمان: بطن=

وليس ذلك إذاعة لأسرار الحروب، وإلا دخل في باب خيانة الله ورسوله، لكنه ربما كان بعد أن صار أمر الحرب معلنًا للفريقين، فأصبح خوض غمارها حتمًا لازمًا، أو أنه نظم بعد الحرب بمدة، فيخرج عن التهديد الذي ينبغي أن يكون قبل وقوع الأحداث، والنفس تميل إلىٰ الاحتمال الأول المبنىٰ علىٰ التهديد والوعيد الذي زاد من نغمته ذكر مجموعة من قبائل العرب المعروفة بقوة البأس والدراية بأمور الحرب، اعتمادًا علىٰ ماضيها في هذا الصدد، فتجد أسماء قبائل تملأ قلوب الأعداء رعبًا مثل: سليم، والأوس والخزرج، وبنو أسد، وعبس، وذبيان، وكلها قبائل لها تاريخ عتيد وماض تليد في مجال الحرب والقتال، واليوم هي تحت قيادة النبي ﷺ مجتمعة، وقوله (أعلاها وأسفلها) تصعيد للتهديد وفيه ما لا يخفي من عدم الاكتراث أو الاهتمام بهذا الجمع ، وقوله (رسالة نصح فيه تبيان) فيه إيماء إلىٰ أنهم لو أرادوا السلامة وآثروا الإبقاء علىٰ أنفسهم لأعلنوا ولاءهم للإسلام ، والظن في البيت الثاني محمول علىٰ اليقين، كما أن قوله (صابحكم) أي آتيكم في الصباح ليأخذكم علىٰ حين غرة قبل أن تستعدوا، وتتصاعد نبرة التهديد إلىٰ أعلىٰ درجاتها فتراه يقول (فيهم أخوكم سليم غير تاركم) فأخوة النسب التي تربط بنىٰ سليم وقبائل هوازن وغطفان لن تحول بين قتلكم علىٰ أيدىٰ إخوتكم السلميين، لأن الولاء اليوم لله ولرسوله ﷺ ، يؤيد ذلك قوله في موضع آخر[1]: (كامل)

= من أمية الأكبر من قريش، كان أغلبهم في الشام وباديتها. ينظر معجم القبائل العربية جـ٢: ٧٥٤.

(١) الديوان: ١٢٣ .

ما يرتجون من القريب قرابة إلا لطاعة ربهم وهواكا

وقوله أيضًا[1]: (كامل)

يغشىٰ ذوي النسب القريب وإنما يبغي رضا الرحمن ثم رضاكا

ثم يثير في نفوس الأعداء الرعب بذكر قبيلتين لهما في مجال الحرب باع طويل، وهما "عبس" و "ذبيان"؛ لذا كان الجميع يتحاشىٰ خوض الحروب مع أي منهما وكأنهما "أجربان" يبتعد الناس عنهما خوفًا من العدوىٰ.

وفي قول العباس (وفي عضادته اليمنىٰ بنو أسد) أثبت للنبي ﷺ اليمنىٰ، ولم يذكر اليسرىٰ تأدبًا مع شخصه ﷺ لئلا يذكر شيئًا مما يتطير منه.

وقد سبق أن ذكرت أن الإشادة بمآثر بني سليم كان العامل المشترك في شعر العباس الإسلامي، وهو يلح علىٰ هذه الفكرة كثيرًا، من نحو قوله مثلًا[2]: (طويل)

نصرنا رسول الله من غضب له بألف كمىٰ لا تعد حواسره

حملنا له في عامل الرمح راية يذود بها في حومة الموت ناصره

ونحن خضبناها دما فهو لونها غداة حنين يوم صفوان شاجره

وكنا علىٰ الإسلام ميمنة له وكان لنا عقد اللواء وشاهره

وكنا له دون الجنود بطانة يشاورنا في أمره ونشاوره

دعانا فسمانا الشعار مقدما وكنا له عونا علىٰ من يناكره

(١) الديوان: ١٢٣ .

(٢) الديوان: ٨٣.

جزىٰ الله خيرا من نبي محمـدا وأيده بالنصــر والله ناصــره [1]

فتجد الضمائر الدالة علىٰ الجمع من نحو (نصرنا – حملنا – ونحن – خضبناها – وكنا – لنا – وكنا – يشاورنا – نشاوره – دعانا – فسمانا – وكنا) إحدىٰ عشرة مرة في سبعة أبيات فحسب، ولم يفرد نفسه بشيء، دلالة علىٰ قوة الرابطة بينه وبين قومه، وحبه الشديد لهم، وعصبيته وإحساسه بالمسئولية تجاه القبيلة وانتمائه لتراب وطنه، وهذا يفسر – بدوره – سكناه البادية وإيثاره إياها علىٰ سكنىٰ المدن.

وعلىٰ هذا المنوال راح العباس يؤكد أن قومه بنىٰ سليم كانوا سببًا رئيسًا في تحقيق النصر يوم حنين علىٰ هوازن وحلفائها، يقول مصورًا بعض مشاهد المعركة، ومفتخرًا ببلاء قومه[2]: (كامل)

ولنا علىٰ بئري حنين موكب دمغ النفـاق وهضــبة مـا تقلع
نصــر النبي بنـا وكنـا معشــرا في كـل نـائبـة نضــر ونـنـفـع
زرنـا غـداتـئـذ هـوازن بـالـقـنـا والخيـل يغمرهـا عجـاج يســطع
إذ خاف حدهم النبي وأســندوا جمعا تكاد الشــمس منه تخشــع
يدعىٰ بنو جشــم ويدعىٰ وســطه أبـنـاء نصــر والأســنـة شــرع
حتىٰ إذا قـال الرســول محمـد أبني ســليم قـد وفيتم فـارفعوا

(١) الكمي: الفارس الشجاع المقدام الجريء (كمىٰ). حواسر: جمع حاسر وهو الذي لا بيضة علىٰ رأسه (حسر). شاجره: يقال رماح شواجر أي مختلفة متداخلة، واشتجروا برماحهم إذا تطاعنوا. (شجر). الشعار: الثوب الذي يلىٰ الجسد مباشرة (شعر).

(٢) الديوان: ٩٩.

(٢) دمغ النفاق: أصابه في دماغه، والمعنىٰ غلبه وأبطله (دمغ).=

رحنا ولولا نحن أجحف بأســهم بـالمؤمنين وأحرزوا مـا جمعوا [1]

والأبيات مثل سابقتها ما فيها من جديد، إلا أن يكون ارتفاع نغمة الفخر، وادعاء أنه لولا وجود بني سليم في الحرب ما كان للمسلمين انتصار في هذا اليوم، حتىٰ إنهم أثخنوا التقتيل في هوازن بصورة جعلت رسول الله ﷺ يطلب إليهم رفع أيديهم قليلًا (أبنىٰ سليم قد وفيتم فارفعوا) أي كفوا عن القتل، إذ يكفي ما تم قتله .

ولعل السرَّ في تفوق السلميين في يوم حنين خاصة أن الطرف الآخر(هوازن) يرتبطون بهم بصلة نسب، فالجميع يرجع إلىٰ جد واحد هو "قيس"، ومن هنا كانوا علىٰ دراية بالطرق التي يلجئون إليها في حروبهم، وقد صرح العباس بهذا النسب في أكثر من موضع، من نحو قوله مثلًا[2]:

تـدعو هوازن بـالإخـاوة بيننـا ثـدىٰ تـمـد بـه هـوازن أيـبـس

وقوله أيضًا[3]: (وافر)

فقلنـا أســلموا إنـا أخوكم وقد برأت من الإحن الصــدور

وقوله[4]: (طويل)

=هضبة : أصل الهضبة كل جبل خلق من صخرة واحدة (هضب) والمراد بها هنا تشبيه الجيش بالهضبة في الثبات والصلابة والقوة. الحد: الفاصل بين شيئين وربما يقصد أن المشركين خافوا من النبي فجعلوا بينهم وبينه فاصلًا لفرط شجاعته ﷺ. تخشع: يقصد أن هذا الجمع يكاد يحجب ضوء الشمس.

(٢) الديوان: ٨٩.

(٣) الديوان: ٧١.

(٤) الديوان : ١٠٩ .

نذود أخانا عن أخينا ولو نرىٰ مصـــالا لكنا الأقربين نبايع [1]

لكن هذه الأخوة لا تمنع بنىٰ سليم من حرب إخوتهم من هوازن؛ لأن الولاء هنا لدين الإسلام، يقول[2]: (وافر)

فـإن يهـدوا إلىٰ الإســلام يلفوا أنوف النـاس مـا ســمر الســمير

وإن لـم يســلـمـوا فـهُـم أذان بـحـرب الله لـيـس لـهـم نصـيـر

وإذا كان الحديث متصلًا حول تصوير النصر علىٰ الأعداء، ووصف المعركة، فلابد أن يعرج الشاعر الفارس علىٰ تصوير ما حاق بالأعداء من هزيمة زلزلت أركانهم، وشلت حركتهم، وأربكت صفوفهم، وتركتهم يخطبون خبط عشواء، لا يدرون أين المفر، يقول العباس في هذا المعنىٰ[3]: (الوافر)

وبـئـس الأمـر أمـر بـنـي قسـي بـوج إذا تـقسـمـت الأمـور

أضـاعـوا أمـرهـم ولـكـل قـوم أمـيـر والـدوائـر قـد تـدور

ويـوم كـان قـبـل لـدىٰ حـنـيـن فـأقـلـع والـدمـاء بـه تـمـور

مـن الأيـام لـم تسـمـع كـيـوم ولـم يسـمـع بـه قـوم ذكـور

قـتـلـنـا في الـغـبـار بـني حـطـيـط عـلـىٰ راياتـهـا والـخـيـل زور

فـأفـلـت من نجـا منهم جريضـا وقـتـل مـنـهـم خـلـق كـثـيـر[4]

(١) المصال: التطاول علىٰ الناس بدون وجه حق.

(٢) الديوان: ٧٠.

(٣) الديوان ٦٩.

(٤) بنو قسي: قسي هو ثقيف وولده جشم وعوف ودارس. ينظر جمهرة الأنساب لابن حزم الأندلسي: ٢٦٦ تحقيق عبد السلام محمد هارون دار المعارف القاهرة =

لقد أثخن المسلمون التقتيل في معسكر الكفر، فقتل منهم خلق كثير، ومن نجا منهم فر من المعركة وهو ملئ بالجراح، كما نال خيولهم شيء من ذلك، وعمومًا فقد كانت نتائج المعركة في صالح المعسكر الإسلامي الذي أدارها بحنكة وحسن تدبير، حتىٰ إن قتلىٰ هوازن أشبهوا الحمر الوحشية التي افترستها السباع، يقول[1]: (كامل)

حتىٰ تركنا جمعهم وكأنه عير تعاقبه السباع مفرس

وقد سبق أن ذكرت أن حديث العباس عن غزوة حنين قد نال قسطًا كبيرًا من شعره الإسلامي، لأنها كانت أرضا خصبة لإظهار ولاء بنىٰ سليم للإسلام، الذي كانوا حديثي عهد به، إذ كانوا يقاتلون بنىٰ عمومتهم من هوازن، بعد أن تجمعت عدة قبائل للقضاء علىٰ المسلمين، لكن الله نصر رسوله ﷺ يقول العباس[2]: (الكامل)

والله أكرمنا وأظهر ديننا وأعزنا بعبادة الرحمن
والله أهلككم وفرق جمعكم وأذلكم بعبادة الشيطان

=الخامسة ١٩٨٢م.وج: هي الطائف. ينظر معجم البلدان جـ٥: ٣٦١. بنو حطيط: هو حطيط بن جشم بن قسىٰ وهو ثقيف، وبنو حطيط: مالك وغاضرة، ومنهم عثمان بن عبد الله..... بن حطيط صاحب لواء المشركين يوم حنين وقتل يومها كافرا. ينظر جمهرة الأنساب: ٢٦٦. الخيل زور: جمع الأزور وهو المائل (زور) الجريض: المفلت بعد شر (جرض)

(١) الديوان: ٨٩

(٢) الديوان : ١٥٩.

والبيتان عبارة عن أثر واضح من آثار الإسلام في شعر العباس لفظًا ومضمونًا، إذ نسب الأفعال فيهما إلىٰ الله عز وجل (أكرم – أظهر – أعز – أهلك – فرق – أذل)؛ لأنه هو الفاعل الحقيقي.

وبعد انتهاء المعركة وتحقيق النصر، يكون توزيع الغنائم الذي كان له مزيد خصوصية يوم حنين؛ فإن النبي ﷺ قسمها بطريقة مختلفة، فزاد في أنصباء المؤلفة قلوبهم ، وكان أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعينية ابن حصن، والأقرع بن حابس ممن أخذ كل منهم مائة من الإبل، في حين أخذ العباس أقل من ذلك بكثير، فلم يرض بقسمته، وعندها قال[1]: (متقارب)

وكانت نهابا تلافيتها ... بكرىٰ علىٰ المهر في الأجرع
وإيقاظي القوم أن يرقدوا ... إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العبيـ ... ـد بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تدرأ ... فلم أعط شيئًا ولم أمنع
إلا أفائل أعطيتها ... عديد قوائمها الأربع
وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع[2]

(١) الديوان: ١١١.

(٢) النهاب: جمع نهب وهو الغنيمة (نهب). الأجرع: مؤنثه جرعاء وهي الأرض ذات الحزونة، أو المكان الواسع فيه خشونة وصعوبة (جرع). العبيد: اسم فرس العباس بن مرداس .تدرأ: أي كنت مدافعًا عن قومي حاميًا لهم في عزة ومنعة .الأفائل: جمع أفيل، وهو الصغير من الإبل.(أفل)

فلما علم النبي ﷺ بذلك قال: اقطعوا عني لسانه، أي أعطوه حتىٰ يرضىٰ، فأعطوه حتىٰ تمَّ له المائة[1] .

وأرىٰ أن ما تم عرضه من قضايا المضمون الشعري فيه الغناء عما بقىٰ، حتىٰ لا نقع فريسة للتكرار، إذ إن أغلبه قريب الشبه من بعضه، لينتقل البحث إلىٰ دراسة أهم الظواهر الفنية التي اتسم بها هذا الشعر، وأهم هذه السمات ما يلي :

❁❁❁❁❁

(١) ينظر تفاصيل ذلك في البداية والنهاية مجـ٢ جـ٤ : ٣٧٨.

الفصل الثاني

السمات الفنية لشعر العباس الإسلامي

- أثر الإسلام في اللغة (الألفاظ والأساليب).
- أثر الإسلام في بناء القصيدة.
- أثر الإسلام في الصورة الشعرية
- أثر الإسلام في موسيقى الشعر

الفصل الثاني

السمات الفنية لشعر العباس الإسلامي

أولاً: أثر الإسلام في اللغة:

إن لغة الشاعر هي ترجمان ما يعتمل في صدره، وأداته الطيعة لإيصال أفكاره إلىٰ المتلقي، من هنا تكتسب أهميتها، وهي رهن بقدرة الأديب علىٰ توظيفها توظيفًا يتوافق مع معانيه، والحرص علىٰ المواءمة بين اللفظ ومعناه، وقوة جرسه، وتجانسه مع المعنىٰ الذي يتحدث فيه الأديب، وبذلك يكتسب سر الإقبال علىٰ شعره، ومن ثم ذيوعه وقبوله، ولغة الشاعر تتضمن الحديث عن اللفظ منفردًا ثم الأسلوب، وسوف أفصل القول في كل علىٰ حدة.

(أ) من سمات الألفاظ:

إذا أردنا أن نجلي هذه القضية بصورة أكثر وضوحًا فلننظر بصورة سريعة إلىٰ شيء من شعر العباس قبل إسلامه؛ ليتبين لنا كيف أحدث الإسلام طفرة كبرىٰ في تحوله الشعرىٰ، لنرىٰ الفرق الشاسع والبون البعيد بين ما كان عليه، وما أصبح فيه، وسوف أعرض أنموذجًا من نقائضه مع شعراء المسلمين عندما أجلىٰ النبي ﷺ بنىٰ النضير، فقال العباس يبكيهم[1]: (طويل).

لو أن أهل الدار لم يتصدعوا ... رأيت خلال الدار ملهىٰ وملعبا

فإنك عمري هل أريك ظعائنا ... سلكن علىٰ ركن الشطاة فتيأبا

عليهن عين من ظباء تبالة ... أوانس يصبين الحليم المجربا

---

(١) الديوان: ٣٨.

فأجابه خوات بن جبير[1]: (الطويل)

تبكي علىٰ قتلىٰ يهود وقد ترىٰ ... من الجو لو تبكي أحب وأقربا

فهلا علىٰ قتلىٰ ببطن أريٰنق ... بكيت ولم تعول من الشجو مسهبا

فرد عليه العباس[2]: (طويل)

هجوت صريح الكاهنين وفيكم ... لهم نعم كانت من الدهر ترتبا

أولئك أحرىٰ لو بكيت عليهم ... وقومك لو أدوا من الحق موجبا

فرد كعب بن مالك عليه بقوله[3]: (طويل)

لعمري لقد حكت رحىٰ الحرب بعدما ... أطارت لؤيا قبل شرقًا ومغربا

بقية آل الكاهنين وعزها ... فعاد ذليلًا بعد ما كان أغلبا

فطاح سلام وابن سعية عنوة ... وقيد ذليلًا للمنايا ابن أخطبا

أرأيت كيف كان يمدح اليهود ويبكيهم؟ بل كان ينظم المساجلات والنقائض الشعرية في مواجهة المعسكر الإسلامي، فيعلن عداءه للمسلمين ومحبته لليهود.

من هنا يدرك القارئ كم كان أثر الإسلام كبيرًا ومتسع الدائرة في شعره وبخاصة بعدما يقرأ شيئًا من شعره قبل إسلامه، لكنه بعد أن من الله عليه بنعمة الإسلام امتلأ شعره بالروح الإسلامية، وصار غضبه وحبه وعصبيته

(١) الأغاني ١٤ : ٣١٦ .

(٢) الديوان: ٤١ .

(٣) ديوان كعب بن مالك تحقيق سامي مكي العاني مكتبة النهضة العراق الأولىٰ ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م .

للإسلام، فكثرت الألفاظ الإسلامية في شعره بصورة واضحة، وهذا ما سوف يجليه البحث في الصفحات الآتية:-

(١) شيوع الألفاظ الإسلامية :

استحوذت الألفاظ الإسلامية علىٰ الجزء الأكبر من شعر العباس المنظوم بعد إسلامه ، وهو – من وجهة نظري – من أكثر الشعراء المخضرمين الذين تأثروا بالألفاظ الإسلامية، وإن كان شعره الإسلامي قليلًا، إذا ما وضعنا في الاعتبار المدة الزمنية التي عاشها مسلمًا ، ومنه قوله عن جنود بني سليم[١]:(وافر)

فجئنا أسد غابات إليهم جنود الله ضاحية تسير

وقوله عنهم أيضًا[٢]: (البسيط)

الضاربون جنود الشرك ضاحية ببطن مكة والأرواح تبتدر

فتجد (جنود الله) بالإضافة إلىٰ لفظ الجلالة؛ تشريفًا لهم، وتعظيمًا لشأنهم، فهؤلاء بنو سليم (جنود الله) الذين يضربون (جنود الشرك)، فبعد أن كان الفخر عنده هو الانتماء إلىٰ القبيلة، والاعتزاز بأمجادها، أصبح الآن يفخر بالانتماء للدين وهو أثر واضح من آثار الإسلام في شعره، ويواصل الحديث عن هؤلاء الجنود السلميين وأثرهم في غزوات النبي ﷺ فيقول متحدثًا عن دورهم يوم حنين[٣]:(الكامل)

وعلىٰ حنين قد وفىٰ من جمعنا ألف أمد به الرسول عرندس

(١) الديوان: ٦٩.

(٢) الديوان: ٧٣.

(٣) الديوان: ٨٨.

كـانـوا أمـام الـمـؤمـنـيـن دريـئـة والشـمس يومئذ عليهم أشـمس
نمضـي ويحرسـنـا الإله بحفظه والله ليس بضـائع من يحرس

وهنا نجد ألفاظًا إسلامية دخلت قاموس شاعرنا بمعانيها الإسلامية؛ مثل: (الرسول – المؤمنون – الإله – نسبة الحفظ إلىٰ الله) .

وكلمة (الرسول) وما يجرىٰ مجراها مثل (رسول الله – النبي – الرسول – محمد – نبي الهدىٰ – الهادي) من أكثر الكلمات التي جرت علىٰ لسان العباس بعد إسلامه، وصارت من معجمه الشعرىٰ. يقول[1]

نصـرنا رسـول الله من غضـب له بـألف كمي لا تعـد حواسـره

ويقول أيضًا[2]: (الطويل)

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وقـد فر من قـد فر عنـه فـأقشـع

ويقول[3]: (الطويل)

جزىٰ الله خيرًا من نبي محمـدًا وأيـده بـالنصـر والله نـاصـره

ويقول[4]: (كامل)

فهناك إذا نصـر الله النبي بألفنا عـقـد الـنـبـي لـنـا لـواء يـلـمـع
وغـداة نحن مع النبي جنـاحـه ببطـاح مكـة والقنـا يتهزع[5]

(١) الديوان: ٨٣.

(٢)الديوان: ١٠٢.

(٣) الديوان: ٨٤.

(٤) الديوان: ٩٩.

(٥) يتهزع: يتحرك ويضطرب، والإهزاع: سهم يبقىٰ في الكنانة تحسبا لوقوع شدة، يقصد أنهم أبطال مغاوير وقد اتخذهم الرسول تحسبا لوقوع أمر خطير.

نصـــر النبي بنـا وكنـا معشـــرا في كـل نـائبـة نضـــر ونـنـفـع
حتىٰ إذا قـال الرســول محمـد أبني ســليم قـد وفيتم فـارفعوا

فتلحظ تكرارًا لاسم النبي ﷺ في القصيدة الواحدة عدة مرات، وهو مما يتلذذ بذكره فما بالك بتكرار هذا الذكر؟ ومثله أيضًا[1]: (الطويل)

مـن مـبـلـغ الأقـوام أنّ مـحـمـدًا رســـول الإله راشـــد حيث يمَّمَا
ســـرينا وواعدنا قديدا محمدا يؤم بنـا أمرًا من الله مُحكمـا

وقد يسميه (نبي المؤمنين) كما ورد في قوله[2]: (الطويل) :

وقـال نبي المؤمنين تقـدموا وحـب إلينـا أن نكون المقـدمـا

وقد سبق أن ذكرت أن العباس قد ذكر ﷺ بأسمائه وصفاته، وإن كان قد اقتصر علىٰ اسمه "محمد" ولم يذكر "أحمد" مطلقًا، وقد ذكرت أكثرها، وأحيل القارئ الكريم إلىٰ الديوان لمراجعة ما بقىٰ منها[3].

أما لفظ "الإسلام"، فقد أورده في أكثر من صورة، فربما يذكره باسمه صراحة، كما في قوله[4]:(الوافر)

فـإن يهـدوا إلىٰ الإســلام يلفوا أنوف الناس ما ســمر الســمير
وإن لـم يســـلـمـوا فـهـم أذان بحرب الله ليس لهم نصـــير

(١) الديوان : ١٤١.

(٢) الديوان : ١٤٢.

(٣) للمزيد: ينظر الديوان: ١٠٩، ١٢٢، ١٤٥، ١٥٥، ١٨٠ مثلاً.

(٤) الديوان: ٧٠.

والحديث هنا عن قبائل هوازن الذين يرتبطون معهم برباط النسب.

ويقول موجها حديثه إليهم في القصيدة نفسها[1]: (وافر)

فقلنا أسلموا إنا أخوكم وقد برأت من الإحن الصدور

وقد يعبر الشاعر عن الجيش الإسلامي بكلمة "الإسلام" وحدها، فيحذف المضاف ويبقىٰ المضاف إليه وحده، من نحو قوله مثلاً[2]: (الطويل)

وكنا علىٰ الإسلام ميمنة له وكان لنا عقد اللواء وشاهره

وفي حذف المضاف هنا إشارة لطيفة قد يفهم منها أن جيش الإسلام في هذه الغزوة – لأهميتها – كان يمثل الإسلام، فإذا انتصر، وإلا ضاع الإسلام أو المسلمون كما حدث مع النبي ﷺ في غزوة بدر عندما قال: "اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض بعد اليوم"

ويقول العباس عن النبي ﷺ إنه[3]:

تلافي عرىٰ الإسلام بعد انفصامها فأحكمها حتىٰ أقام المناسكا

وقد تأتىٰ كلمة (الإسلام) بمعنىٰ الاستسلام والانقياد لأمر الله ورسوله، يقول العباس[4]: (الطويل)

أطعناك حتىٰ أسلم الناس كلهم وحتىٰ صبحنا الجمع أهل يلملما

---

(١) الديوان : ٧١.

(٢) الديوان: ٨٣.

(٣) الديوان: ١٢١.

(٤) الديوان: ١٤٢.

فمعنىٰ أسلم الناس هنا: انقادوا لك واستسلموا لأمرك.

أما القرآن فقد يعبر عنه العباس بـ "الفرقان" وهو لفظ قرآني، كما في بداية سورة الفرقان، وسمىٰ بذلك لأن الله فرق به بين الحق والباطل، يقول شاعرنا[1]: (الطويل)

نبي أتانا بعد عيسىٰ بناطق ... من الحق فيه الفضل منه كذلكا

أمينا علىٰ الفرقان أول شافع ... وآخر مبعوث يجيب الملائكا

والناطق بالحق هنا هو القرآن، وهو الفرقان أيضًا، وقد يسميه البرهان، أو الكتاب، يقول[2]:(الطويل)

رأيتك يا خير البرية كلها ... نشرت كتابًا جاء بالحق معلما

ونورت بالبرهان أمرًا مدمسا ... وأطفأت بالبرهان نارًا مُضرما

والكتاب هو القرآن، وقد يراد بالبرهان: القرآن أو الدليل القاطع.

أما توظيف شاعرنا لفظ الجلالة فهو أكثر من أن يحصىٰ وهذا أمر طبعي لشاعر تمكن الإسلام من نفسه، فملك عليه أقطارها وصار كل ما يكتبه يعبر عن وجهته الإسلامية، لكن ذلك لا يمنع من ذكر بعض النماذج، من نحو قوله[3]: (الطويل)

فآمنت بالله الذي أنا عبده ... وخالفت من أمسىٰ يريد الممالكا

(١) الديوان: ١٢.

(٢) الديوان: ١٤٥.

(٣) الديوان ١٢٠

ومن استعمال لفظ الجلالة أيضًا في قوله[1]: (كامل)

الله مـكـنـه لـه وأذلـه حكم السـيوف لنا وجد مزحم

وغير ذلك كثير، يقول مخاطبًا رسول الله ﷺ[2]: (الوافر)

هذي مشـاهدنا التي كانت لنا مـعـروفـة وولـيـنـا مـولاكـا

فكلمتا (ولينا – مولاك) يراد بهما لفظ الجلالة سبحانه وتعالىٰ، ولاشك أن هذا مظهر من مظاهر استعمال الألفاظ الإسلامية، واستعمال الشاعر لفظ الجلالة كثير جدًا في شعره الإسلامي، وإن كان استخدام اللفظ مفردا (الله) قد لا يقتصر علىٰ تأثير الإسلام، فإن جميع الخلق يوقنون بخلق الله لهم، أما لو كان اللفظ مضافًا إليه كلمة أخرىٰ فإنه يكون أدخل في دراستنا هذه، من نحو(رسول الله– جند الله – يد الله – دين الله – رضا الله ....إلخ)، ومن ذلك قوله[3]: (الطويل)

أمـام رسـول الله يخفق فوقنا لواء كحـذروف السـحـابـة لامع

عشـية ضـحاك بن سـفيان معتص بسـيف رسـول الله والموت كانع

وقوله[4]: (الطويل)

من مبلغ الأقوام أن محمـدًا رسـول الإله راشـد حيث يمَّمَا

(١) الديوان: ٧٣.

(٢) الديوان: ١٢٣.

(٣) الديوان: ١٠٨.

(٤) الديوان: ١٤١.

والتعبير بـ "رسول الله" ورد كثيراً في شعره وقد ذكرت منه طرفا، وأحيل إلىٰ ما تبقىٰ[1].

ويقول العباس أيضًا[2]: (الطويل)

ولـكـن ديـن الله ديـن مـحـمـد رضـيـنا به فيه الهدىٰ والشـرائع

ويقول[3]: (الطويل)

بـنـا عـز ديـن الله غـيـر تـنـحـل وزدنا علىٰ الحىٰ الذي معه ضعفا

ويقول[4]: (الطويل)

رضـا الله ننوي لا رضـا الناس نبتغي ولله مـا يبـدو جميعـا ومـا يخفىٰ

ولا شك أن إضافة لفظ الجلالة إلىٰ هذه الكلمات قد جعلها خالصة الدلالة الإسلامية، مما يوحي بأثر الإسلام الواضح في شعر العباس. وأكتفي بما ذكرت، لأنتقل إلىٰ سمة لفظية أخرىٰ، هي:

(٢) الطباق والمقابلة:

للطباق دوره في توضيح المعنىٰ وتقريبه إلىٰ الأذهان، لأن الجمع بين الشيء وضده مما يجعلهما واضحين فيفهم المراد منهما، يقول الشاعر موضحا هذا المعنىٰ [5]:

---

(١) للمزيد ينظر الديوان: ٤٨، ٨٣، ١٠٢، ١١٥، ١٢٠، ١٥٥.

(٢) الديوان: ١٠٩.

(٣) الديوان: ١١٥.

(٤) الديوان: ١١٦.

(٥) البيتان لعلي بن جبلة (العكوك): ينظر ديوانه: ١١٦ تحقيق د/ حسين عطوان دار المعارف القاهرة– ١٩٧٢م.

فالوجه مثل الصبح مبيض والشعر مثل الليل مسود
ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد

ويقول الآخر أيضا[1]: (الطويل)

عرفت بهذا الشيب فضل شبيبتي وما زال فضل الضد يعرف بالضد

ومن استعمال الطباق في شعر العباس قوله [2]: (بسيط)

دع ما تقدم من عهد الشباب فقد ولىٰ الشباب وزار الشيب والزعر

فالطباق هنا وقع بين لفظي (الشباب – الشيب) وكلاهما يوضح الآخر، ويجلىٰ معناه ، ومنه أيضًا قول شاعرنا[3]: (البسيط)

فما ترىٰ معشرًا قلو ولا كثروا إلا قد اصبح منا فيهم أثر

الطباق بين لفظي (قلوا – كثروا)؛ ليفيد بأن آثار بنىٰ سليم قد ظهرت في جميع من شارك في الحرب ضد المسلمين في هذا اليوم، ويقول العباس[4]:(الطويل)

وكنا له دون الجنود بطانة يشاورنا في أمره ونشاوره

يجسد الشاعر مكانة قومه من النبي ﷺ ، فقد كانوا محل ثقته، من هنا كانت أهمية الطباق بين لفظتي (يشاورنا – نشاوره) وهو يظهر قيمة المشورة بين القادة في تحقيق النصر ،ومنه أيضا قول شاعرنا[5]: (كامل)

(١) البيت لابن زمرك، ينظر ديوانه: ٣٨١ تحقيق محمد توفيق النيفر دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان الأولىٰ١٩٩٧م.

(٢) الديوان: ٧٣.

(٣) الديوان: ٧٤.

(٤) الديوان: ٨٣.

(٥) الديوان: ٩٩

نصــر النبي بنـا وكنـا معشــرا في كـل نـائبـة نضــر ونـنـفع

والطباق هنا وقع بين (نضر – ننفع)، والهدف من إيراده الإشارة إلىٰ بيان أثرهم الواضح في كل ما يعن للأمة من نوازل فهم ينفعون الأتباع، ويضرون الأعداء

ومثل ذلك قول شاعرنا في قريش يوم الفتح[1]: (الطويل)

أصــبنا قريشــًا غثها وســمينها وأنعم حفظـا بـالهم فتكلمـا

والطباق هنا وقع بين لفظي (الغث – السمين)، والغث هو الرديء من كل شيء، أو الهزيل، وعكسه السمين، وعندما يجمع بينهما القائل، فمعناه أنه أصاب الجميع.

أما المقابلة فقد كانت أقل ورودًا من الطباق ومنها قول العباس مخاطبًا رسول الله ﷺ ، ومادحًا إياه[2]: (طويل)

ونورت بالبر هان أمرا مدمســا وأطفأت بالبرهان نارًا مضــرما

المدمس: الشديد الظلمة، فالمقابلة هنا بين (نورت – مدمس) وبين (أطفأت – مضرم) والنار المضرمة: المشتعلة ،ويقول متحدثًا عن نفسه[3]: (متقارب)

وإيـقـاظي الـقـوم أن يـرقـدوا إذا هـجـع الـنـاس لـم أهـجـع

فالمقابلة وقعت بين (إيقاظي – يرقدوا) وبين (هجع – لم أهجع).

(١) الديوان: ١٤٣.

(٢) الديوان: ١٤٥.

(٣) الديوان: ١١١.

ومن بديع المقابلة في شعر العباس الإسلامي[1]: (كامل)

والله أكـرمـنـا وأظـهـر ديـنـنـا وأعـزنـا بـعـبـادة الـرحـمـن

والله أهلككم وفرق جمعكم وأذلـكـم بـعـبـادة الشـيـطـان

فالمقابلة هنا وقعت بين الشطرين الأخيرين من البيتين، وهي مقابلة رائعة فيها موازنة بين ما أصبح فيه المسلمون بعد إسلامهم، وبين ما ظل عليه المشركون من عبادة غير الله عز وجل.

وأرىٰ أن أكتفي بما أوردت من نماذج في هذا الصدد ولعل فيه غناءً عما بقىٰ، تبعا لمقتضيات البحث؛ لأنتقل إلىٰ دراسة سمة لفظية أخرىٰ ،هي:

(٣) تناسب اللفظ والمعنى :

من مقاييس جودة الألفاظ[2]: الرقة والجزالة، يقول ابن الأثير إن "الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلىٰ جزلة ورقيقة، ولكل منها موضع يحسن استعماله فيه، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك، وأما الرقيق منها فإنه يستعمل في وصف الأشواق.... وأشباه ذلك"[3]، ومعنىٰ ذلك أن اللفظ في الفخر غيره في الحرب وهو في الغزل غيره في المديح، وتلك هي الدقة في استعمال الألفاظ،، ومن ذلك قوله[4]: (الوافر)

---

(١) الديوان: ١٥٩.

(٢) ينظر تفاصيل ذلك في أسس النقد الأدبي عند العرب د/ أحمد أحمد بدوي: ٤٥٢ وما بعدها نهضة مصر القاهرة ١٩٩٦م.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير جـ١: ١٧٢ تحقيق/ محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية بيروت لبنان ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

(٤) الديوان: ٦٨.

ألا من مبلغ غيلان عني ... وسوف إخال يأتيه الخبير
بأن محمدا عبد رسول ... لرب لا يضل ولا يجور
وجدناه نبيا مثل موسىٰ ... فكل فتىٰ يخايره مخير

تجد ألفاظًا سهلة رقيقة تتوافق مع روح الإسلام، فكل المعاني واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد، وهذا كله من آثار الإسلام، الذي هذب الطباع ورقق المشاعر، وتأمل ألفاظ شاعرنا في الأنموذج التالي الذي يصور فيه إسلامه، يقول[1]:(الطويل)

فآمنت بالله الذي أنا عبده ... وخالفت من أمس يريد الممالكا
ووجهت وجهي نحو مكة قاصدا ... وتابعت بين الأخشبين المباركا
نبي أتانا بعد عيسىٰ بناطق ... من الحق فيه الفصل منه كذلكا
أمينًا علىٰ الفرقان أول شافع ... وآخر مبعوث يجيب الملائكا

فالألفاظ كلها سهلة رقيقة، واضحة المعاني، وللإسلام فيها الأثر الأكبر، فمثلًا (آمنت – بالله – أنا عبده – وجهت وجهي – المبارك – نبي– الحق – الفصل – الفرقان – أمين – شافع – مبعوث – الملائكة) كلها ألفاظ إسلامية قرآنية، من هنا اكتسبت أهميتها.

أما إذا اختلف الغرض فلابد أن تختلف الألفاظ من حيث القوة أو السهولة، ففي سياق الحديث عن أمور الحرب نجد ألفاظًا تتناسب مع قوة الحرب وشدتها، من نحو قوله[2]: (كامل)

(١) الديوان: ١٢٠.

(٢) الديوان: ٨٨.

إنا وفينا بالذي عاهدتنا والخيل تقدع بالكماة وتضرس
إذ سال من أفناء بهثة كلها جمع تظل به المخارم ترجس
حتىٰ صبحنا أهل مكة فيلقا شهباء يقدمها الهمام الأشوس
من كل أغلب من سليم فوقه بيضاء محكمة الدخال وقونس
يروىٰ القناة إذا تجاسر في الوغىٰ وتخاله أسدًا إذا ما يعبس
يغشىٰ الكتيبة معلمًا وبكفه عضب يقد به ولدن مدعس

فلا شك أن هذه الألفاظ تختلف عن سابقتها جزالة وقوة، فالحديث هنا في سياق الحرب، ومن صفاتها القوة والشدة والغلظة، وهذه الألفاظ وإن كانت نظمت في الإسلام إلا أن التجربة تقتضىٰ أن تكون قوية شديدة، فمع الأعداء لابد من قوة قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[1]،لذلك تجد شاعرنا يعبر بألفاظ قوية من نحو(الخيل – تقدع – الكماة – تضرس – سال – المخارم – ترجس – فيلق – شهباء – الهمام – الأشوس – أغلب– بيضة – محكمة الدخال – قونس – القناة – تجاسر – الوغىٰ – أسد – يعبس – يغشىٰ – الكتيبة – عضب – يقد – لدن – مدعس)، وكلها ألفاظ قوية شديدة تتوافق مع التجربة في الحرب.

كما أننا نجد من الحروف أقواها مثل الصاد، والهاء، والغين، والقاف، والضاد، والظاء، والخاء، وغيرها، كما تكررت الضمة كثيرًا – وهي أصعب الحركات – ما يقرب من إحدىٰ وثلاثين مرة، ثم إن الشاعر قد آثرها حركة

(١) التوبة: ٧٣، التحريم: ٩.

لروىٰ أبياته، فالضمة صعبة وقوية لذلك كانت متناسبة ومتوافقة مع الحرب كما أن الشاعر قد آثر بحر الكامل ليعزف علىٰ أنغامه أبيات قصيدته، وهو من البحور التي تغلب فيها الحركات علىٰ السكنات، والحركة أصعب من السكون وهي متناسبة مع الحركة التي يقوم بها الجنود في أرض المعركة، فكل عناصر التجربة قد تآزرت لإخراج الأبيات بهذه القوة التي تتناسب مع الغرض الذي نظمت فيه، وهو الحرب، وعلىٰ هذا النحو سار شاعرنا في كل ما نظم من شعر مجاله هذا البحث.

❁❁❁❁❁

(ب) من سمات الأساليب:

ترتبط الألفاظ بالأساليب ارتباطًا وثيقًا، فالأسلوب مجموعة من الألفاظ، ينظمها الأديب بصورة معينة، واللفظ أصغر وحدة دلالية ذات معنىٰ، والأسلوب هو السلك الذي تنظم فيه الألفاظ، وهو مناط التفاضل بين الأدباء، يقول ابن الأثير "واعلم أن التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها، لأن التركيب أعسر وأشق، ألا ترىٰ ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفراده قد استعملها العرب ومن بعدهم، ومع ذلك فإنه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه، وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب"[(١)]، والأسلوب هو "الطريقة الخاصة التي يصوغ فيها الكاتب أفكاره، ويبين بها عما يجول في نفسه من العواطف والانفعالات"[(٢)].ومن أهم السمات الأسلوبية التي امتاز بها شعر العباس الإسلامي :

(١) الاقتباس والتضمين:

الاقتباس هو الاستفادة، يقال: اقتبست من فلان علما أي استفدت منه[(٣)]، وهو "أن يضمن المتكلم منثوره أو منظومه شيئًا من القرآن أو الحديث علىٰ وجه لا يشعر بأنه منهما"[(٤)].

(١) المثل السائر– جـ١ : ١٥١.

(٢) أسس النقد الأدبي : ٤٥١.

(٣) ينظر لسان العرب مادة (قبس).

(٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي : ٣٣٥ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – السادسة – بدون.

وظاهرة الاقتباس هي أهم أثر فنىٍ في شعر شاعرنا الذي نظمه بعد إسلامه، مما يشير إلىٰ أنه كان متأثرًا جدًا بالقرآن الكريم، وقد ذكرت أن نظم العباس شعره الإسلامي كان بعد فترة من وقوع أحداثه وهو المرجح الذي تطمئن إليه النفس.

يقول العباس مقتبسًا من القرآن[1]: (الوافر)

بأن محمدًا عبد رسول لرب لا يضل ولا يجور

فقوله: لا يضل ولا يجور فيه اقتباس من قول الحق سبحانه ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [2].

ويقول أيضًا عن أهل هوازن[3]: (الوافر)

فإن يهدوا إلىٰ الإسلام يلفوا أنوف الناس ما سمر السمير

وإن لم يسلموا فهم أذان بحرب الله ليس لهم نصير

فـ (أذان بحرب الله) مقتبس من آية ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [4] وكلمة "الحرب" دقيقة جدًا من في هذا السياق، لأنهم كانوا فعلًا في حالة حرب مع هوازن.

(١) الديوان: ٦٨.

(٢) سورة طه: ٥٢.

(٣) الديوان: ٧٠.

(٤) سورة البقرة: ٢٧٩.

ويقول العباس مفتخرًا ببلاء قومه، مصورًا حال الكفار يوم الفتح الأعظم[١]: (البسيط)

الضاربون جنود الشرك ضاحية ببطن مكة والأرواح تبتدر
حتىٰ تولوا وقتلاهم كأنهم نخل بظاهرة البطحاء منقعر

فقوله "ببطن مكة" مأخوذ من قول الله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ [[٢].

وقوله (نخل بظاهرة البطحاء منقعر) اقتباس من آية ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ [٣]

ويقول عن مبايعة النبي ﷺ مقتبسًا من القرآن ما يشبه به يوم بيعة الرضوان[٤]:

نبايعه بالأخشبين وإنما يد الله بين الأخشبين نبايع

لم يجد العباس أفصح ولا أقوىٰ بيانًا من القرآن ليأخذ منه ما يدعم فكرته، أعنىٰ قول الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[٥]، ولا شك أن التشبيه بهذه البيعة في حد ذاته شرف؛ لأن الله صرح بأنه رضي

(١) الديوان: ٧٣.
(٢) سورة الفتح: ٢٤.
(٣) سورة القمر: ٢٠.
(٤) الديوان: ١٠٨.
(٥) سورة الفتح: ١٠.

المؤمنين الذين بايعوا النبي ﷺ آنذاك ، قال تعالىٰ ﴿* لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[1].

ومن مظاهر الاقتباس أيضًا قول شاعرنا[2]: (الطويل)

رأيتك يا خير البرية كلها توسطت في القربىٰ من المجد مالكا

وهو فيه متأثر بقول الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾[3]، أما قوله (توسطت...) فالتوسط هنا ليس علىٰ معناه، بل يقصد أنه في أعلىٰ درجات القربىٰ من جده "مالك بن النضر".

أما الاقتباس من حديث رسول الله ﷺ فلم يكن كثيرًا كما كان مع القرآن الكريم، ولعل ذلك يرجع إلىٰ أن شاعرنا قد آثر الإقامة في البادية، فلم يكن في وسعه سماع الحديث من النبي ﷺ مباشرة

لكن بعض الباحثين يبرر ذلك بأن العباس كان "اعتماده الأكثر علىٰ الآيات القرآنية الكريمة، فاكتفىٰ بالقرآن الكريم لكونه مصدر التشريع الأول"[4]،وإن كنت أرىٰ غير ذلك، فالسنة هي المصدر الثاني للتشريع ولها أهميتها، فقد تفصل ما أجمل في القرآن، أو تختص بتشريعات لم تذكر في

(١) سورة الفتح: ١٨.

(٢) الديوان: ١٢١.

(٣) سورة البينة: ٧.

(٤) د. عبدالعظيم فيصل صالح وآخر في بحث بعنوان: الاقتباس والتضمين في شعر العباس بن مرداس السلمي بمجلة كلية التربية جامعة سامراء:١٣٤- مج٩ عدد ٣٤ - ٢٠١٣م.

القرآن، وليس هذا مجال ذلك، فالخلاصة أن الذي أميل إليه أن قلة اقتباسه من الحديث النبوي الشريف يرجع إلىٰ إيثاره الإقامة في أحضان البادية، مما أبعده عن سماع الحديث الذي كانت المدينة المنورة موطنه الأصل، أما بيئته فقد كانت تعتمد علىٰ ما ينقل من بعض الصحابة، أو ممن يرسلون لتعليم الناس أمور دينهم في مثل هذه البوادي، ومنه قوله مثلًا[1]: (الطويل)

غداة وطئنا المشركين ولم نجد لأمر رسول الله عدلا ولا صرفا

والاقتباس في قوله (عدلا ولا صرفا)، وهو مأخوذ من حديث للنبي ﷺ يقول فيه: "إن الله أعطىٰ كل ذي حق حقه ولا وصية لوارث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، ومن ادعىٰ إلىٰ غير أبيه أو انتمىٰ إلىٰ غير مواليه رغبة عنهم فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً"[2] ،والمعنىٰ أن جند المسلمين عامة كانوا يعظمون أوامر رسول الله ﷺ ، فكانت طاعتهم له طاعة مطلقة، لأنها طاعة لله، ويقول العباس أيضًا عن رسول الله ﷺ إنه[3]:

تلافي عرىٰ الإسلام بعد انفصامها فأحكمها حتىٰ أقام المناسكا

عرىٰ الإسلام: كل ما يلزم التمسك به من أمور الدين والتعلق به من شعب الإسلام، وهذا التعبير يظهر فيه تأثر الشاعر بقول النبي ﷺ :"لتنقضن عرىٰ الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها

(١) الديوان: ١١٥.

(٢) سنن الترمذي جـ٤: ٤٣٤ رقم: ٢١٢١ تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين عيسىٰ الحلبي وشركاه القاهرة الثانية ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م.

(٣) الديوان: ١٢١.

فأولهن نقضا الحكم، وآخرهن الصلاة"[1]، ومن اقتباسات العباس من الحديث الشريف أيضًا قوله مفتخراً بقومه بنىٰ سليم[2] : (الطويل)

دعانا فسمانا الشعار مقدما وكنا له عونا علىٰ من يناكره

الشعار هو الثوب الذي يلىٰ الجسد مباشرة، ويقصد بذلك أن قومه صاروا من أقرب الناس إلىٰ النبي ﷺ، وهذا المعنىٰ مأخوذ من حديث للنبي ﷺ يقول فيه للأنصار: "أنتم الشعار والناس الدثار"[3]، وهذه النماذج الثلاثة هي التي اهتديت إليها في شعر العباس الإسلامي ، وقد سبق تعليل ذلك.

أما التضمين فهو "قصدك إلىٰ البيت من الشعر أو القسيم وتأتىٰ به في آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل"[4]، فمثلا نرىٰ العباس يقول[5]: (الوافر)

ولست بخالع عني ثيابي إذا هر الكماة ولا أرامي

وهو متأثر فيه بقول مهلهل بن ربيعة التغلبي[6]: (الوافر)

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان جـ٦: ٦٩ رقم ٧٥٢٤ تحقيق محمد السيد بسيوني دار الكتب العلمية بيروت لبنان الأولىٰ١٤١٠هـ

(٢) الديوان: ٨٤.

(٣) الحديث في مسند الإمام أحمد جـ٢١: ١٩٤– رقم ١٣٥٧٤ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين إشراف د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الأولىٰ ١٤٢١ هـ ٢٠٠١م.

(٤) العمدة – جـ٢ : ٨٤.

(٥) الديوان: ١٨١ .

(٦) ديوان المهلهل: ٣٢ شرح وتحقيق أنطوان محسن القوال دار الجيل بيروت لبنان الأولىٰ ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

ولســـت بخالع درعي وســـيفي إلىٰ أن يـخـلـع الـلـيـل الـنـهـارُ

والمعنيان متقاربان، لكن مهلهلًا له فضل السبق، وحسن السبك وجودة الأداء، ومعانيه أدخل في باب الحرب أكثر من صاحبه؛ لأنه توعد ألا يخلع درعه وسيفه عنه طوال الدهر مادامت فيه حياة، أما العباس فلم يذكر إلا الثياب فقط، والعباس يوازن بين إقدامه وإحجام غيره، أما المهلهل فيتعهد لأخيه ألا يترك الطلب لثأره مادام حيًّا، وذكر أهم أدوات الحرب وهي السيف والدرع، والبحر العروضي واحد عند الشاعرين وهو الوافر، مما يعنىٰ تفوق المهلهل في هذا المنحىٰ أيضًا .

ومن مظاهر التضمين في شعر العباس الإسلامي قوله[1]: (طويل)

تقطع بـاقي وصـــل أم مؤمـل بعـاقبـة واســتبـدلـت نيـة خلفـا

وهو في ذلك متأثر بقول دريد بن الصمة[2]: (طويل)

أرث جديد الحبل من أم معبد بعـاقبـة وأخلفـت كـل موعـد

والمعاني متقاربة، والألفاظ كذلك، والشاعران كانا متعاصرين، وقد حضرا غزوة حنين، ، والبيتان بدآ بفعل ماض دال علىٰ هجر الحبيبة (أرث) الذي عبر به دريد، ومعناه صار قديمًا وباليًا، لكنه موجود وفي ذلك ما يوحىٰ بشيء من أمل للعودة، أما العباس فقال (تقطع) أي انقطع الوصل نهائيًا؛ لأن الفعل ماض يدل علىٰ حقيقة وقعت فعلًا، والشاعران عبرا عن المحبوبة

(١) الديوان: ١١٤ .

(٢) ديوان دريد بن الصمة: ٤٥ جمع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعي طبعة دار صعب بيروت لبنان ١٩٨١م.

بالكنية؛ غيرة وحمية، وهو مما يحمد في العربي، وكلاهما بدأ الشطر الأخير بكلمة واحدة(بعاقبة)؛ لأن العاقبة في كلتا التجربتين واحدة، وهي الهجر والقطيعة، لكن العباس قال بعدها (واستبدلت)، أما دريد فقال (وأخلفت)، فدريد كان ذا أمل في العودة، والقصيدتان من الطويل، ولدريد فضل السبق، وقد تكون تجربته واقعية أيضًا بناء علىٰ ما ذكر من أنه نظم هذه القصيدة بعد طلاقه زوجه أم معبد واسمها "سمادير"؛ لأنها أكثرت من لومه لكثرة ذكره أخاه بعد موته، فيكون لدريد الغلبة لما ذكرت ،ومن التضمين أيضًا قول شاعرنا[1]: (الكامل)

في كل سابغة تخير سردها داود إذ نسج الحديد و تبع

وفي قصيدة أخرىٰ يكرر مثل هذا المعنىٰ فيقول[2]: (الطويل)

فجئنا بألف من سليم عليهم لبوس لهم من نسج داود رائع

وهو فيهما متأثر بـ(كعب بن زهير) في قوله عن الصحابة[3]: (البسيط)

شم العرانين أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل

والمعروف أن (كعبًا) أسلم بعد غزوة حنين في السنة الثامنة للهجرة بعد منصرف النبي ﷺ من الطائف، وهذا يؤيد ما ذهبت إليه من قبل من أن نظم العباس لشعره الإسلامي كان بعد مدة، وإلا فإن هذين البيتين يدخلان في باب الاقتباس من القرآن الكريم إذا كان العباس قد نظم قصيدته قبل لامية

(١) الديوان: ٩٩.

(٢) الديوان: ١٠٨.

(٣) ديوان كعب بن زهير : ٤١ – صنعة أبي سعيد السكري– تحقيق: حنا نصر الحتي دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الأولىٰ- ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

كعب، والذي أوقعنا في تلك الحيرة هو عدم ذكر تاريخ القصائد في الديوان؛ لأن البيت الأول يمكن أن يكون اقتباسًا من قول الله : ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾ (١)، أما البيت الثاني فقد يكون اقتباسا من قول الله عز وجل: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ﴾ (٢).

وبذلك يكون البحث قد ألقىٰ الضوء علىٰ أهم مظاهر الاقتباس والتضمين في شعر العباس الإسلامي، لينتقل إلىٰ سمة أسلوبية أخرىٰ هي :-

(٢) التكرار:

علىٰ الرغم من أن البحث مقتصر علىٰ شعر العباس الذي نظمه بعد إسلامه وهو محصور في قصة إسلامه، ومدح النبي ﷺ ، وفتح مكة، وغزوة حنين، إلا أنه قد لجأ كثيرًا إلىٰ أسلوب التكرار ، من نحو قوله مثلاً(٣): (كامل)

وعلىٰ حنين قد وفىٰ من جمعنا ألف أمد به الرسول عرندس

وقولة(٤): (كامل)

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسيل به البطاح مسوم

وقوله أيضًا(٥): (كامل)

فهناك إذ نصر النبي بألفنا عقد النبي لنا لواء يلمع

(١) سورة سبأ : ١١ .

(٢) سورة الأنبياء: ٨٠.

(٣) الديوان: ٨٨.

(٤) الديوان: ١٣٩ .

(٥) الديوان: ٩٩ .

وقوله كذلك[1]: (الطويل)

فجئنا بألف من سليم عليهم لبوس لهم من نسج داود رائع

وقوله[2]: (الطويل)

حلفت يمينا برة لمحمد فأكملتها ألفا من الخيل ملجما

وقوله أيضًا[3]: (الطويل)

وأنا مع الهادي النبي محمد وفينا ولم يستوفها معشر ألفا

وقوله كذلك[4]: (الكامل)

والقائد المائة التي وفى بها تسع المئين فتم ألف أقرع

فتلحظ أنه كرر ذلك سبع مرات كما كرر ذكر قائدهم "الضحاك بن سفيان" أكثر من مرة باسمه صراحة، لأنه كان صهره (والد زوجه حبيبة بنت الضحاك بن سفيان)[5]،ويبدو أن هذا الرجل كان جديرًا بهذه الثقة؛ لأن شاعرنا خصه بما لم يذكره لغيره، يقول[6]: (البسيط)

تحت اللواء مع الضحاك يقدمنا كما مشى الليث في غاباته الخدر

(١) الديوان: ١٠٨.

(٢) الديوان: ١٤٢.

(٣) الديوان: ١١٥.

(٤) الديوان: ٩٩.

(٥) ينظر الأغاني جـ١٤ : ٣٠٤.

(٦) الديوان: ٧٤.

ويقول أيضًا[1]: (الطويل)[2]

صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا ... قراع الأعادي منهم والوقائع

عشية ضحاك بن سفيان معتص ... بسيف رسول الله والموت كانع

ويقول كذلك[3]: (الكامل)

ثم الذين وفوا بما عاهدتهم ... جند بعثت عليهم الضحاكا

فتلحظ أنه يكرر ذكر اسم الضحاك، بل واسم أبيه؛ إشادة بشجاعته وحسن قيادته لقومه بنىٰ سليم، كما تلحظ أنه كرر كلمة "رسول الله" في بيتين متتاليين تلذذًا واستعذابًا لهذا الذكر، ومن التكرار أيضًا قول العباس مفتخرًا[4]: (الطويل)

وكنا علىٰ الإسلام ميمنة له ... وكان لنا عقد اللواء وشاهره

وكنا له دون الجنود بطانة ... يشاورنا في أمره ونشاوره

دعانا فسمانا الشعار مقدما ... وكنا له عونا علىٰ من يناكره

ففي هذه الأبيات الثلاثة تلحظ أن الشاعر كرر ضمير الجماعة (نا) سبع مرات (وكنا – لنا – كنا – يشاورنا – دعانا – سمانا – وكنا) إضافة إلىٰ الضمائر المستترة التي تعود إليها، في نبرة من الفخر عالية وقد دفعه إلىٰ ذلك حبه الشديد لقومه وارتباطه بهم، وإحساسه بالمسئولية تجاههم.

وبذلك ينتقل البحث إلى سمة أسلوبية أخرى هي:-

---

(١) الديوان: ١٠٨.

(٢) معتص: ضارب. الموت كانع: قريب.

(٣) الديوان : ١٢٢ .

(٤) الديوان: ٨٣.

(٣) الأسلوب بين الخبر والإنشاء :

من المعلوم أن الكلام إما أن يكون خبرًا، وإما أن يكون إنشاء، فأما الأسلوب الخبري فهو يقرر حقائق، أو يدل علىٰ التقرير، وإثبات واقع فعلي، كما في قول العباس يحكي ما وقع يوم حنين[١]: (الوافر)

هزمنا الجمع جمع بني قسي وحكت بركها ببني رئاب
لقد أحببت ما لقيت ثقيف بجنب الشعب أمس من العذاب

فهذا أسلوب خبري صدر بالفعل الماضي وهذا حدث فعلي أيَّده الواقع، فالغرض هنا هو التقرير وإذاعة أمر انتصار المسلمين، ومثله أيضًا قول العباس[٢]: (الطويل)

ولكن دين الله دين محمد رضينا به فيه الهدىٰ والشرائع
أقام به بعد الضلالة أمرنا وليس لأمر حمه الله دافع

فالشاعر استعمل الأسلوب الخبري هنا، لينقل إلىٰ المتلقي خبر اعتناقه الإسلام، عن طريق استعمال الفعل الماضي الدال علىٰ وقوع الحدث فعلًا ، وهذا كله بإرادة الله عز وجل، ومن هذا اللون أيضًا قوله[٣]: (الكامل)

إن الإله بنىٰ عليك محبة في خلقه ومحمدا سماكا

فاستعمال الأسلوب الخبري هنا يقرر حقيقة حب الخلق للنبي ﷺ.

(١) الديوان: ٤٨.
(٢) الديوان: ١٠٩.
(٣) الديوان: ١٢٢.

وعلىٰ هذا المنوال تسير الأساليب الخبرية، ولعل ما ذكرت يفي بالغرض.

أما الأسلوب الإنشائي فله دواعيه النفسية التي تتطلبه وتستدعيه تلبية لغايات بعينها، من نحو قول العباس مادحًا رسول الله ﷺ [1]: (الكامل)

يـا أيهـا الرجـل الـذي تهوي بـه ... وجنـاء مجمرة المنـاســم عرمس

يا خير من ركب المطي ومن مشىٰ ... فـوق الـتـراب إذا تـعـد الأنـفـس

ومثله أيضًا[2]: (الطويل)

رأيتـك يـا خير البريـة كلهـا ... نشــرت كتابًا جاء بالحق معلما

وطريق الإنشاء: النداء، وقد استعمل أداة النداء للبعيد، إما لأن المنادىٰ كان بعيدًا عنه فعلًا، وربما لأنها أم الباب وتغنىٰ عن غيرها، وقد يكون السر في ذلك راجعًا إلىٰ طبيعة الحياة في البادية التي تتطلب رفع الصوت بالنداء غالبًا؛ لاتساع الرقعة وقد يؤثر الشاعر استعمال النداء بالأداة الموضوعة للقريب، وذلك لدواعٍ نفسية تفرضها عوامل عديدة مثل القرب الحسي، أو المعنوي وذلك مثل قول العباس[3]: (كامل)

حتىٰ إذا قـال الـنـبـي مـحـمـد ... أبني ســـليم قـد وفيتم فـارفعوا

وقد وقع النداء هنا بالهمزة الدالة علىٰ قرب المنادىٰ، والسر في إيثار النداء هو إظهار مكانة بني سليم من النبي ﷺ من القرب المعنوي، حتىٰ إنه كان يشاورهم في أمره وهم يشاورونه، وقد يكون القرب حسيًّا أيضًا؛ لأنهم كانوا

(١) الديوان: ٨٧.

(٢) الديوان: ١٤٥.

(٣) الديوان: ١٠٠.

في مقدمة الجيش يومها، وربما كان إيثار الهمزة هنا في النداء طلبًا لسرعة الكف عن قتل الأعداء.

وقد يكون النداء موجهًا إلىٰ ما لا يتصور منه الإجابة، وهنا ينادىٰ من لا ينادىٰ ، وذلك كقول العباس مثلاً[1]: (البسيط)

يا لهف أم كلاب إذ تبيتهم خيل ابن هوذة لا تنهى وإنسان

اللهف: الحسرة والأسىٰ والحزن والغيظ علىٰ ما فات، وبذلك يعلم أنه لابد من تقدير منادىٰ محذوف، وإنما كانت هذه الحسرة لأنه مرتبط بهم بصلة نسب كما سبق بيانه.

وحذف المنادىٰ هنا قد يكون بغرض الإسراع إلىٰ ذكر النتائج المترتبة علىٰ الأحداث التي يتناولها الشاعر، ومثل هذا الأسلوب أيضًا قول شاعرنا[2]: (كامل)

وغداة أوطاس شددنا شدة كفت العدو وقيل منها: يا احبسوا

أوطاس : أحد أودية هوازن، يقصد أنهم يوم حنين قد شدوا علىٰ العدو شدة قوية عنيفة، حتىٰ قيل لهم: احبسوا، أي كفىٰ، وهذا يشبه المعنىٰ في البيت السابق.

وقوله:(يا احبسوا) أي يا آل سليم احبسوا أو يا مسلمون يكفي ما أنزلتموه بالعدو من نكال، فحذف المنادىٰ، إسراعا بذكر المطلوب تنفيذه ، ونظير ذلك البيت المشهور لذىٰ الرمة[3]: (الطويل)

ألا يا اسلمي يا دار مي علىٰ البلىٰ ولا زال منهلا بجر عائك القطر

(١) الديوان: ١٥٤.

(٢) الديوان: ٨٩.

(٣) ديوان ذي الرمة شرح الخطيب التبريزي- تقديم/ مجيد طراد : ٢٠٢ – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

وقد يكون طريق الإنشاء: الاستفهام، الذي يمكن أن يخرج عن معناه الحقيقي إلىٰ معان مجازية تفهم من السياق وذلك من نحو قول العباس[1]: (الطويل)

فمن مبلغ عني النبي محمـدا وكل امرئ يجزىٰ بما قد تكلما

فالاستفهام هنا قد يحمل معنىٰ التمني ،ومثله أيضا قوله[2]: (الطويل)

حبيبـة ألوت بهـا غربـة النوىٰ لبين فهل ماض من العيش راجع

بعد إسلام العباس فارقته زوجه ولحقت بأهلها، لكنه – علىٰ الرغم من ذلك – لا يزال باقيًا علىٰ العهد، ويتمنىٰ لو أنها أسلمت فتظل معه؛ ليستعيدا معا ذكريات مضت، فهل يتحقق له ما يتمنىٰ؟ وقد يحمل الاستفهام معنىٰ الحيرة والتردد والقلق والاضطراب، كما في قول شاعرنا[3]: (البسيط)

مـا بـال عينـك فيهـا عـائر سـهر مثل الحماطة أغضىٰ فوقها الشفر

والذي أوقعه في هذا القلق: مفارقة محبوبته إياه بعد إعلان إسلامه.

أما أسلوب الأمر فمنه قول شاعرنا[4]: (الوافر)

فقلنـا أسـلموا إنـا أخوكم وقد برأت من الإحن الصـدور

والأمر هنا (أسلموا) يحمل معنىٰ النصح والإرشاد والتوجيه بدليل قوله(إنا أخوكم).

---

(١) الديوان: ١٤٥.

(٢) الديوان: ١٠٧.

(٣) الديوان: ٧٢.

(٤) الديوان: ٧١.

ومنه أيضًا قوله[1]: (البسيط)

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها مني رسالة نصح فيه تبيان

والأمر وإن كان ظاهره النصح والإرشاد والتوجيه، إلا أني أشم منه رائحة التهديد

أما الدعاء فلم أجد له إلا مثالًا واحدًا هو قوله[2]: (الطويل)

جزىٰ الله خيرا من نبي محمدا وأيده بالنصر، والله ناصره

وبذلك يكون البحث قد ألقىٰ الضوء علىٰ أهم السمات الأسلوبية في شعر العباس بن مرداس السلمىٰ، لننتقل إلىٰ سمة فنية أخرىٰ هي:

❁❁❁❁❁

(١) الديوان: ١٥٥.

(٢) الديوان: ٨٤.

(٢) أثر الإسلام في بناء القصيدة :

تختلف التجربة الشعرية – طولًا أو قصرًا – تبعا لعدة عوامل من أهمها طول نفس الشاعر في النظم، أو طبيعة الموضوع الذي يعالجه، من هنا يقسم النقاد التجارب الشعرية إلىٰ مقطوعات وقصائد، فالمقطوعة مجموعة من الأبيات الشعرية أقل من سبعة أبيات، أما القصيدة فهي مجموعة من الأبيات الشعرية عددها سبعة أبيات فصاعدًا[١]، وقيل في تعريفها غير ذلك لكن هذا هو الأشهر.

قيل لأبي عمرو بن العلاء هل كانت العرب تطيل؟ قال نعم ليسمع منها، فقيل له وهل كانت توجز؟ قال نعم ليحفظ عنها؟ وقال الخليل يطول الكلام ويكثر ليفهم، ويوجز ويختصر ليحفظ[٢].

وقد نظم العباس ضمن شعره الإسلامي ست مقطوعات بلغ مجموع أبياتها ثمانية وعشرين بيتا، كما نظم ثلاث عشرة قصيدة ما بين سبعة أبيات، وثمانية وعشرين بيتًا بلغ مجموع أبياتها ستة وتسعين ومائة بيت، ليصل مجموع ما نظمه العباس بعد إسلامه أربعة وعشرين ومائتي بيت (٢٢٤).

وقد سبق أن ذكرت أن المقطوعة لا تحتمل أكثر من فكرة لضيق المجال فيها عن التقديم والخروج إلىٰ الموضوع الأساس، ثم الختام، ومن ذلك قول شاعرنا مخاطبًا رسول الله ﷺ [٣] (البسيط)

وأنت لما ولدت أشرقت ال أرض وضاءت بنورك الأفق

(١) العمدة جـ١ : ١٨٨ .

(٢) ينظر العمدة جـ١ : ١٨٦ .

(٣) الديوان: ١١٩ .

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق

والمقطوعة تقتصر علىٰ هذين البيتين؛ لأن الحديث فيها مقتصر علىٰ بيان معنىٰ واحد ، ومن ذلك أيضًا قول العباس[1]: (الوافر)

شهدن مع النبي مسومات حنينا وهي دامية الحوامي

ووقعة خالد شهدت وحلت سنا بكها علىٰ البلد الحرام

هذان البيتان من مقطوعة عدتها خمسة أبيات لا تتجاوز الحديث عن أثر الحرب علىٰ الخيل، لذلك لم يتسع المقام هنا لوصف بعض مظاهر الحرب الأخرىٰ. وعلىٰ هذا سار العباس في معالجة مقطوعاته، ولعل فيما ذكر غناء عما بقىٰ.

والمقطوعة المكونة من أقل من سبعة أبيات لا يتصور أن يعالج فيها الشاعر أكثر من فكرة ،وإلا فأين المقدمة؟ وأين الموضوع الأساس؟ وأين الختام؟ وكيف يتخلص من هذا إلىٰ ذاك؟ لاشك أن الجدير باحتواء هذه العناصر هو القصيدة، وهي مناط حديثنا في الصفحات الآتية، من خلال العناصر المكونة لها، وهي:

(أ) المطلع :

اهتم النقاد بمطالع القصائد اهتمامًا بالغًا؛ لأنه أول ما يقرع الآذان، فإذا وفق الشاعر في ابتداء قصيدته استطاع أن يجذب إليه أسماع المتلقين، وقد اشترط النقاد في حسن المطلع أو براعة الاستهلال أن يكون دالًا علىٰ ما بنيت عليه القصيدة، مشعرًا بالغرض من غير تصريح، بل بإشارة لطيفة يستدل بها

(١) الديوان: ١٨٠.

علىٰ قصده، وحيث إن النفس تكون متطلعة لما يستفتح لها الكلام به، فإنها تنبسط لاستقبالها الحسن أولًا وتنقبض لاستقبالها القبيح أولًا أيضًا.

وقد درج الشعراء العرب علىٰ بدء قصائدهم بالغزل أو بكاء الأطلال، حتىٰ صار هذا الصنيع منهجًا لا محيد عنه، فلما جاء ابن قتيبة حاول أن يبرر هذا المنهج، فقال "سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار... ليجعل ذلك سببًا لذكر أهلها الظاعنين عنها.... ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق؛ ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه وليستدعي به إصغاء الأسماع... الخ[1]".

وقد انتهج العباس هذا النهج في شعره الإسلامي فبدأ بعض قصائده بالحديث عن الغزل، أو الأطلال، وسوف يتجلىٰ الأمر بعد عرض هذه المطالع، من ذلك قوله[2]: (الطويل)

عفا مجدل من أهله فمتالع ... فمطلا أريك قد خلا فالمصانع

ديار لنا يا جمل إذ جل عيشنا ... رخىٰ وصرف الدهر للحي جامع

حبيبة ألوت بها غربة النوىٰ ... لبين فهل ماض من العيش راجع

فإن تبتغي الكفار غير ملومة ... فإني وزير للنبي وتابع [3]

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري جـ١: ٧٤، ٧٥ تحقيق أحمد محمد شاكر – دار المعارف – القاهرة – الثانية – ١٩٨٢م.

(٢) الديوان: ١٠٧.

(٣) عفا: درس ومحيت آثاره. مجدل: اسم بلد طيب بالخابور، وقيل موضع في بلاد العرب ينظر معجم البلدان جـ٥ : ٥٦.متالع: جبل في نجد. ينظر معجم البلدان جـ٥: ٥٢.

هذا مطلع قصيدة عدتها ستة عشر بيتًا، موضوعها الأساس غزوة حنين، لكنه استهلها بما جرىٰ مع زوجه حين علمت بإسلامه فقوضت بيتها ولحقت بأهلها ، فيتمنىٰ لو أنها عادت "فهل ماض من العيش راجع"، أما إن أصرت علىٰ دينها واتبعت الكفار فإنه متمسك بدينه وتابع للنبي ﷺ ، وهي غير ملومة منه.

ومثل هذا المطلع أيضًا قوله[1]: (الطويل)

تقطع باقي وصل أم مؤمل ... بعاقبة واستبدلت نية كل موعد خلفا
وقد حلفت بالله لا تقطع القوىٰ ... فما صدقت فيه ولا برت الحلفا
خفافية بطن العقيق مصيفها ... وتحتل في البادين وجرة فالعرفا
فإن تتبع الكفار أم مؤمل ... فقد زودت قلبي علىٰ نأيها شغفا
وسوف ينبيها الخبير بأننا ... أبينا ولم نطلب سوىٰ ربنا حلفا

وهو مثل سابقه في الغرض الأساس وكثير من المعاني والألفاظ.

وقد يكون المطلع مدحًا للنبي ﷺ، وهذا ما لم يكن معهودا في مطالع العباس قبل إسلامه، فهو أثر واضح من آثار الإسلام في بناء القصيدة عنده،كما في قوله مثلاً [2](كامل)

مطلا أريك: المطل: الأرض السهلة اللينة. ينظر لسان العرب (طلىٰ).

أريك: اسم جبل في بلاد بنىٰ سليم. ينظر معجم البلدان جـ١ : ١٦٥ .

المصانع: القصور أو أحباس تتخذ للماء. ينظر معجم البلدان جـ٥ : ١٣٦ .

ألوت بها: غيرتها. ينظر لسان العرب (لوىٰ).

(١) الديوان: ١١٤ .

(٢) الديوان: ٨٧.

يـا أيهـا الرجـل الـذي تهوىٰ بـه وجنـاء مجمرة المنـاســم عرمس
إمـا أتيـت علىٰ النبي فقـل لـه حقـا عليـك إذا اطمـأن المجلس
يا خير من ركب المطي ومن مشىٰ فـوق الـتـراب إذا تـعـد الأنـفـس

وهو مطلع قصيدة عدتها ستة عشر بيتًا، موضوعها الأساس الحديث عن فتح مكة وغزوة حنين، لكنه بدأها كما ترىٰ بمدح النبي ﷺ، بيانا لأثر الإسلام في شعره.

ومثله أيضًا قول العباس[1]: (الكامل)

يـا خـاتم النبـآء إنـك مرســل بالحق كل هدىٰ الســبيل هداكا
إن الإلـه بـنـىٰ عـلـيـك مـحـبـة في خلقـه و مـحـمـدًا ســمـاكـا

وإذا كان الشاعر في النماذج السابقة قد بدأ قصائده بمقدمات طللية غزلية، أو بمقدمات مدح فيها رسول الله ﷺ، فإنه في قصائد أخرىٰ قد ولج إلىٰ الموضوع الأساس دون مقدمات .

ومن هذا اللون قول العباس[2]: (البسيط)

أصــابـت العـام رعلا غول قومهم وســط البيوت ولون الغول ألوان
يـا لـهـف أم كـلاب إذ تـبـيـتـهـم خيل ابن هوذة لا تنهىٰ وإنسان[3]

(١) الديوان: ١٢٢ .
(٢) الديوان: ١٥٤ .
(٣) رعل: قبيلة من سليم. الغول: الداهية أو كل ما يهلك الإنسان (غول). إنسان: قبيلة من قيس.

هذا مطلع قصيدة عدتها ثلاثة عشر بيتًا، يتحدث فيها عن أثر الحرب علىٰ قبائل هوازن ،وقد بدأها كما نرىٰ بالولوج إلىٰ موضوع القصيدة الرئيس مباشرة دون مقدمات.

ومثله أيضًا قوله[1]: (الكامل)

إما ترىٰ يا أم فروة خيلنا ... منها معطلة تقاد وظلع

أو هي مقارعة الأعادي أدمها ... فيها نوافذ من جراح تنبع

فلرب قائلة كفاها وقعنا ... أزم الحروب فسربها لا يفزع

فتلحظ أن شاعرنا قد بدأ قصيدته المكونة من تسعة عشر بيتًا بالدخول المباشر في الموضوع الرئيس وهو الحرب وأثرها، وهذا اللون هو الغالب علىٰ مطالع العباس في شعره الإسلامي، وربما كان السر في ذلك ضياع بعض الشعر، أو ضياع أجزاء من مقدمات القصائد، لأنىٰ لحظت أن أكثر المطالع عنده غير مصرعة، وربما كان الارتجال وعدم الاهتمام بالمراجعة والتنقيح.

وبذلك يكون البحث قد انتهي من دراسة المطالع ، لينتقل إلىٰ دراسة :-

(ب) التخلص :

المقصود بحسن التخلص "أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنىٰ إلىٰ معنىٰ آخر.. بتخلص سهل، يختلسه اختلاسًا رشيقًا، دقيق المعنىٰ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنىٰ الأول إلا وقد وقع في الثاني ؛ لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما، حتىٰ كأنهما أفرغا في قالب واحد"[2]،

(١) الديوان : ٩٨ .

(٢) خزانة الأدب جـ١ : ٣٢٩.

وقد أجاد العباس وأحسن التخلص من مقدمات قصائده إلىٰ الدخول في موضوعها الأساس في أغلب الأحوال، وقليلًا ما كان يقع فريسة البتر أو الاقتضاب ،ومن أظهر النماذج التي أحسن العباس فيها الانتقال من المقدمة إلىٰ الموضوع قوله[1]: (الطويل)

فإن تبتغي الكفار غير ملومة ... فإني وزير للنبي وتابع
دعانا إليهم خير وفد علمتهم ... خزيمة والمدار منهم وواسع
فجئنا بألف من سليم عليهم ... لبوس لهم من نسج داود رائع

ففي نهاية المقدمة الغزلية التي جعلها للحديث عن هجر زوجة إياه بسبب إسلامه ربط بين المقدمة والموضوع بفعل الشرط (فإن تبتغىٰ...) ثم ولج إلىٰ أساس القصيدة ولوجًا حسنًا رشيقًا، سلسًا، لم نشعر معه بالخروج من معنىٰ إلىٰ آخر؛ لأنه ربط بين المعنيين رباط الشرط بالجزاء، فالفاء في بداية الشطر الثاني من البيت الأول واقعة في جواب الشرط (فإن ...فإني..)بعدها أخذ في الحديث عن فتح مكة وغزوة حنين.

ومن هذا اللون أيضًا قول شاعرنا[2]: (الطويل)

فإن تتبع الكفار أم مؤمل ... فقد زودت قلبي علىٰ نأيها شغفا
وسوف ينبيها الخبير بأننا ... أبينا ولم نطلب سوىٰ ربنا حلفا
وأنا مع الهادي النبي محمد ... وفينا ولم يستوفها معشر ألفا
بفتيان صدق من سليم أعزة ... أطاعوا فما يعصون من أمره حرفا

(١) الديوان: ١٠٧.

(٢) الديوان: ١١٤.

وهو قريب من سابقه، وقد أحسن العباس وأجاد عندما تخلص من المقدمة الغزلية إلىٰ الموضوع الرئيس، وهو الإشادة بشجاعة بنىٰ سليم وحسن بلائهم في الحرب، وهو تخلص رائع من وجهة نظري، فإنه تحدث عن فراق زوجه إياه، ولما أراد أن ينهي حديثه قال: (فإن تتبع الكفار.. فقد زودت قلبي... مستخدما أسلوب الشرط، ثم عطف البيت التالي عليه فقال: (وسوف ينبيها الخبير..)، بعدها قال (وأنا مع الهادي النبي محمد..) فربط بين المقدمة الغزلية والغرض الأصيل ربطًا محكمًا، وتخلص بطريقة سلسة سهلة، لم يشعر معها المتلقي بأنه خرج من معنىٰ إلىٰ آخر.

وقد يفصل الشاعر بين المعنيين بفاصل تعارف عليه النقاد، واصطلحوا علىٰ أنه فاصل مقبول، يقول ابن رشيق :"إن العرب كانوا يقولون عند فراغهم من نعت الإبل وذكر القفار وما هم بسبيله: "دع ذا" و "عد عن ذا" ويأخذون فيما يريدون، أو يأتون بإن المشددة ابتداء للكلام الذي يقصدونه"[1]، ومن هذا اللون في شعر العباس الإسلامي[2]: (البسيط)

يا بعد منزل من ترجو مودته ... ومن أتىٰ دون الصمان فالحفر
دع ما تقدم من عهد الشباب فقد ... ولىٰ الشباب وزار الشيب والزعر
واذكر بلاء سليم في مواطنها ... وفي سليم لأهل الفخر مفتخر

(١) العمدة جـ١ : ٢٣٩.

(٢) الديوان: ٧٢.

فالبيت الأول هنا نهاية الحديث عن المقدمة الغزلية، وفي البيت التالي له قال : دع ما تقدم..... وقد فصل به بين المقدمة والغرض الرئيس فتجد البيت التالي له (واذكر بلاء سليم ....) بداية الموضوع الأصل للقصيدة .

وإذا كان الشاعر قد أجاد في التخلص إلىٰ الموضوع الأصل فيما تقدم فإنه قد يخفق في التخلص إلىٰ الموضوع الأساس في بعض الأحيان، وهذا قليل جدًا في شعره الإسلامي، ومنه قوله[1]: (وافر)

وبئس الأمر أمر بني قسي بوج إذ تقسمت الأمور
أضاعوا أمرهم ولكل قوم أمير والدوائر قد تدور
فجئنا أسد غابات إليهم جنود الله ضاحية تسير

بنو قسي: أهل ثقيف، والحديث عن غزوة حنين، وهذه القصيدة عدتها ثمانية وعشرون بيتًا، بدأها بمدح النبي ﷺ، وفي منتهاه يقول[2]: (وافر)

وجدناه نبيا مثل موسىٰ فكل فتىٰ يخايره مخير

ثم يقول بعده مباشرة: (وبئس الأمر ...) وأرىٰ أنه لم يحسن التخلص هنا، بل بتر كلامه فجأة، وقد سبق أن ذكرت أن هذا اللون قليل في شعره الإسلامي، وأكثر تخلصاته كانت موفقة وسديدة، مسايرة مقاييس النقاد في هذا الصدد.

(جـ) المقطع أو الختام :

المقطع هو آخر فقرة من القصيدة، وقد اهتم النقاد به كثيرًا؛ لأنه آخر ما يبقىٰ منها في الذهن، وربما لا يحفظ منها غيره، من هنا ينبغي للشاعر أن

(١) الديوان: ٦٩.

(٢) الديوان: ٦٨.

يجعله عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنىٰ مشعرا بالتمام، حتىٰ تتحقق براعة المقطع بحسن الختام، إذ هو آخر ما يبقىٰ منه في الأسماع؛ لقرب العهد به[1].

وقد وفق العباس في كثير من مقاطع قصائده، فأنهاها نهايات تتوافق مع موضوعها، وإن لم يكن هذا اللون الوحيد في مقاطعه، فقد أنهىٰ بعض قصائده بصورة غير سديدة.

فمن النوع الأول الذي أجاد فيه قوله[2]: (البسيط)

فما ترىٰ معشرًا قلوا ولا كثروا إلا قد اصبح منا فيهم أثر

هذا البيت جاء خاتمة لقصيدة غرضها الأساس غزوة حنين، ومن أبياتها[3]: (البسيط)

ونحن يوم حنين كان مشهدنا للدين عزا وعند الله مدخر

وفيه من المعاني الحماسية ما لا يخفىٰ، أما البيت الأخير فيدل دلالة قاطعة علىٰ ما جاء في ثنايا القصيدة، ويتوافق مع ما ساق العباس فيها من معان، وهو مشعر بالتمام، ومحكم لا مزيد عليه، ومتسق مع موضوع القصيدة، من هنا كان العباس موفقًا كل التوفيق في إنهاء القصيدة بهذا الشكل الرائع.

ومن النهايات الرائعة أيضًا قول شاعرنا[4]: (كامل)

حتىٰ تركنا جمعهم وكأنه عير تعاقبه السباع مفرس

(١) ينظر جواهر البلاغة: ٣٤٢.

(٢) الديوان: ٧٤.

(٣) الديوان: ٧٤.

(٤) الديوان: ٨٩.

هذا البيت جعله الشاعر نهاية قصيدة عدتها ستة عشر بيتًا، بدأها بمدح النبي ﷺ، ثم دخل إلىٰ موضوعها الأساس وهو فتح مكة، وغزوة حنين، ثم أنهاها بأنهم تركوا قتلىٰ هوازن كأنهم حمر وحشية، تفترسها السباع وهي نهاية تتوافق تمامًا مع موضوع القصيدة، ومثله تماما قول شاعرنا[1]: (كامل)

هذي مشـــاهدنا التي كانت لنا مـعـروفـة وولـيـنـا مـولاكـا

وهو نهاية قصيدة، غرضها الرئيس وصف الحرب، وقد ختمها بما يتناسب مع هذا الغرض، وكان موفقا فيه ، وقد يختم القصيدة بمدح النبي ﷺ مثل قوله[2]:

فأنت المصطفي من قريش إذا سمت غلاصـــمها تبغىٰ القروم الفواركا

فهذا البيت نهاية قصيدة عددها أحد عشر بيتًا، بدأها بالحديث عن قصة إسلامه، ثم مدح النبي ﷺ، ثم ختمها كما ترىٰ بما يتوافق مع موضوعها الأصل، وقريب من ذلك أن يختم القصيدة بالدعاء، وهو أحد مظاهر تأثير الإسلام في شعره، يقول[3]:

جـزىٰ الله خـيـرا مـن نـبـي مـحـمـدا وأيـده بـالنصـــر والله نـاصـــره

هذا البيت ختام قصيدة قصيرة عبارة عن سبعة أبيات تحدث فيها العباس عن مواقف بنىٰ سليم يوم حنين، ثم ختمها بالدعاء للنبي ﷺ، كما بدأها بقوله (نصرنا رسول الله....) فالبدء والختام متوافقان، وفيها أيضًا رد العجز علىٰ الصدر(نصرنا... وأيده بالنصر والله ناصره)، فأثر الإسلام ظاهر جلىٰ في القصيدة، وبخاصة في ختامها.

---

(١) الديوان : ١٢٣ .

(٢) الديوان: ١٢١.

(٣) الديوان: ٨٤.

وإذا كان العباس قد أجاد في ختام القصائد فيما عرضنا من نماذج، فإن ذلك لم يكن الشكل الوحيد في خواتيم قصائده، بل إنه لم يحالفه التوفيق في بعض الخواتيم، وإن كنت أرجح أن بعضها ليس الختام الذي صنعه العباس، بل ربما ضاعت بعض أبيات من القصائد، وانظر معي هذا الختام[1]: (وافر)

بذي لجب رسول الله فيهم كتيبته تعرض للضراب

أزعم أن هذا المقطع لم يكن هو ما أنهىٰ به العباس قصيدته، فربما ضاعت بعض أبيات من نهاية القصيدة، وتأمل أيضًا هذا المقطع[2]: (وافر)

كأن القوم إذ جاؤا إلينا من البغضاء بعد السلم عور

وهو نهاية قصيدة عدتها ثمانية وعشرون بيتًا، قوامها الحديث عن غزوة حنين، لكنها ختمت بهذا الشكل الذي لا يليق أبدًا بشاعرية أمثال العباس .

ومثله أيضًا قوله في نهاية إحدىٰ قصائده[3]: (بسيط)

تكاد ترجف منه الأرض رهبته وفي مقدمه أوس وعثمان

فهذا البيت جاء ختام قصيدة عدتها ثلاثة عشر بيتًا تتحدث من بدايتها عن غزوة حنين وبدون مقدمات، ثم انتهت بهذا الشكل كما ترىٰ، وهي نهاية غير منطقية، كما كانت بدايتها غير مقبولة بالدخول المباشر إلىٰ الغرض الرئيس.

وأرىٰ أن أكتفي بهذا القدر ؛ لتنتقل الدراسة إلىٰ سمة فنية أخرىٰ ، هي:-

❁❁❁❁❁

(١) الديوان: ٤٨ .

(٢) الديوان : ٧١ .

(٣) الديوان : ١٥٥ .

(٣) أثر الإسلام في الصورة الشعرية :-

الصورة من أسس العمل الأدبي، ومن أهم دعائمه، وهىٰ روح الإبداع فيه وأبرز أركانه، وتعد من أهم وسائل الأديب الناجح في إبراز أفكاره والتأثير في المتلقي، ولها دور كبير في التوضيح والشرح، وإبراز المعنوي في صورة محسوسة، وهىٰ " أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن، شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن[١] " ،والصورة إما جزئية، وإما كلية، ولها أنماط، فقد تكون بصرية، أو حركية، أو لونية ، وهكذا.

أولا : الصورة الجزئية :-

تتنوع الصورة الجزئية لتشمل التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، فأما التشبيه فهو أحد الألوان البيانية التي تضفىٰ علىٰ الأسلوب رونقا وجمالا، وتأكيدا ووضوحا، ويجعل الخفي جليا، والبعيد قريبا، والمعنوي محسوسا، وحيث إن أكثر الشعر الذىٰ نظمه العباس بعد إسلامه يعالج فتح مكة وغزوة حنين ، فإن أكثر التشبيه وقع في محيط المعركة ، فتجده يشبه الجنود بالأسود، ويشبه اللواء بالعقاب، ويشبه السهام بالكواكب ، والقتلىٰ بالعير....الخ، فمن تشبيهات الجنود بالأسود قوله [٢]: (الوافر)

فجئنا أســـد غـابـات إليهم جـنـود الله ضـــاحـيـة تســـيـر

والتشبيه بالأسود في سياق الشجاعة والبسالة في الحرب ونحوها أمر معهود ومتداول، لكنه غير معيب أو مستهلك، وذلك قياسا علىٰ الفترة التي نظم فيها هذا الشعر، وقد كانت البيئة آنذاك هي الملهم الأول للشاعر .

---

[١] الصورة الفنية في النقد الشعري د/ عبدالقادر الرباعي : ٨٥ دار العلوم للطباعة والنشر – السعودية – الأولىٰ ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م.

[٢] الديوان : ٦٩.

ومثله أيضا قول شاعرنا [1]:- (الكامل)

يمشـــون تحـت لوائـه وكـأنهم أســـد العرين أردن ثم عراكـا

أما قائدهم الضحاك فله وصف خاص به ، يقول [2]: (بسيط)

تحت اللواء مع الضـحاك يقدمنا كما مشي الليث في غاباته الخدر

فهو قائد من طراز فريد، وأسد هصور يفترس الأعداء، فيتركهم نهب السباع.

وكما قلت فإن تشبيه الجنود الشجعان بالأسود كثير في شعر العباس الإسلامي، لأن أغلبه قيل في وصف المعارك وقد ذكرت طرفا منه، وأحيل القارئ إلىٰ ما بقي[3].

أما من قتل من أعدائهم فهم أحيانا يشبهون الحمر الوحشية التي افترستها السباع ، يقول العباس في ذلك [4]: (كامل)

حتىٰ تركنـا جمعهم وكـأنـه عير تعـاقبـه الســباع مفرس

فقتلىٰ هوازن يشبهون العير التي افترستها السباع وهي إشارة إلىٰ شجاعة من قتلوهم .

---

[1]) الديوان : ١٢٣.

[2]) الديوان : ٧٤

[3]) ينظر الديوان مثلا : ٨٨ ، ١١٥.

[4]) الديوان : ٨٩.

أما مشركو مكة يوم الفتح فقد كان حالهم غير ذلك، إذ استمد صورة قتلاهم من القرآن الكريم ، يقول[1]:- (البسيط)

الضاربون جنود الشرك ضاحية ببطن مكة والأرواح تبتدر

حتىٰ تولوا وقتلاهم كأنهم نخل بظاهرة البطحاء منقعر

شبه القتلىٰ من مشركي مكة بنخل منقطع من أصوله، ساقط علىٰ الأرض، وفيه إيماء إلىٰ قوة بنيانهم، لأن هذا التشبيه ورد في القرآن الكريم في شأن قوم عاد، مما يجعل التشبيه هنا مصيبا هدفه، وفيه تقارب بين المشبه والمشبه به، وفيه أيضا آثار واضحة للإسلام، أعني هذا الاقتباس في موضعين " ببطن مكة ، نخل منقعر " وقد سبق بيان ذلك مفصلا في دراسة اللغة، أما لواء الحرب فقد شبهه العباس بطرف السحابة التي في حركة دائبة ، لكثرة حركته ، يقول[2] (طويل)

أمام رسول الله يخفق فوقنا لواء كحذروف السحابة لامع

الضحاك بن سفيان قائد بني سليم ، واللواء معقود بيده ، وهو بهذا الوصف فيه من الشجاعة والإقدام ما فيه، فإنه في ميدان المعركة يظل في حركة مستمرة، مما يجعل اللواء في يده متحركا مثل حركة السحابة المستمرة.

وفي الأنموذج التالي يشبه اللواء بالعقاب، يقول [3] :- (الطويل)

بمكة إذا جئنا كأن لواءنا عقاب أرادت بعد تحليقها خطفا

فالمقاتل يكاد يخطف عدوه، كما تخطف العقاب فرائسها، فالتشبيه في الظاهر للواء، لكنه يقصد القائد الذي يحمله .

---

(١)) الديوان :٧٣

(٢) الديوان : ٧٣.

(٣) الديوان : ١١٥.

وقد يركز الشاعر تشبيهه علىٰ الخيول، فيشبهها بالعقاب أيضا، يقول[1]: (بسيط)

إلا السـوابح كـالعقبـان مقربـة في دارة حولها الأخطار والعكر

فكأن هذه الخيول – لجرأتها علىٰ العدو – تكاد تخطفهم لخفتها وتحكمها في سرعتها، أما السهام فهي مثل الكواكب المضيئة في لمعانها وصقلها، وهذا يدل علىٰ أنهم رجال حرب، وسهامهم مشحوذة مصقولة يقول[2]:(الطويل)

كأن السهام المر سلات كواكب إذا أدبرت عن عجها وهىٰ تلمع

أما الشكل الثاني من أشكال الصورة الجزئية فهو :-

(ب) الاستعارة :-

من مظاهر توظيف الاستعارة قول العباس مفتخرا [3]:- (الكامل)

ولنـا علىٰ بئري حنين موكـب دمغ النفـاق وهضـبـة مـا تقلع

أصل الدمغ : شج الرأس حتىٰ يبلغ الدماغ[4]،والاستعارة هنا في كلمة (دمغ)حيث شبه النفاق بإنسان له دماغ وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الدماغ ، وهو أسلوب قرآني تأثر به العباس قال تعالىٰ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا

---

(1) الديوان : ٧٣.

(2) الديوان : ١٠٢.

(3) الديوان : ٩٩.

(4) اللسان (دمغ).

نَصِفُونَ﴾[1]، وهناك استعارة أخرىٰ في هذا البيت في قوله " وهضبة ما تقلع" حيث شبه رسوخ أقدامهم وثباتهم في أرض المعركة بثبات الهضبة ، والاستعارة هنا تصريحية .

ويقول عن الضحاك، ومخاطبا رسول الله ﷺ [2]: (الكامل)

أنبيك أني قد رأيت مكره تحت العجاجة يدمغ الإشراكا

وهي مثل سابقتها ، حيث شبه الإشراك بإنسان له دماغ وهو يعمل فيه السيف .

ومن الاستعارة قوله عن النبي (ﷺ)[3]: (الطويل)

تلافىٰ عرىٰ الإسلام بعد انفصامها فأحكمها حتىٰ أقام المناسكا

الاستعارة هنا في تشبيه أمور الدين بعرىٰ الأشياء أو مقابضها التي يتمسك بالشيء عن طريقها، وهي استعارة تصريحية.

ومن صور الاستعارة أيضا قول العباس مفتخرا بقومه [4]: (الطويل)

دعانا فسمانا الشعار مقدما وكنا له عونا علىٰ من يناكره

الشعار أصله ما يلي الجسد مباشرة من الثياب، أما المقصود منه هنا فالبطانة الخاصة للرجل، وذوو العقول وأصحاب الشورىٰ، يقول العباس[5](الطويل)

---

(١) الأنبياء : ١٨

(٢) الديوان : ١٢٣ .

(٣) الديوان : ١٢١ .

(٤) الديوان : ٨٤ .

(٥) الديوان : ٨٣.

وكـنـا دون الـجـنـود بـطـانـة يشـــاورنـا في أمـره ونشـــاوره

فأصل المعنىٰ الثوب الذي يلي الجسد مباشرة ، والمعني المنقول إليه هو بطانة الرجل وخاصته من أصحاب الرأي وأولي النهىٰ، وقد تكون الاستعارة طاوية معنىٰ السخرية من العدو ثقة في تحقيق النصر كما في قول العباس[1]:(كامل)

زرنـا غـداتـئـذ هـوازن بـالـقـنـا والخيل يغمرها عجاج يســطع

معلوم أن الزيارة غالبا ما تكون في الخير، لأن الزائر يكون في بيت المزور، كما أن الزائر غالبا ما يحمل الهدايا إلىٰ صاحب البيت ،لكنه هنا يحمل معه السيوف والرماح ، ليقتل صاحب البيت، وهذا يشبه آية: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [2]، والهدف من الاستعارة : التهكم والسخرية، والحط من شأن أهل هوازن .

وأختم دراسة الاستعارة بقول العباس عن مولد النبي (ﷺ)[3](البسيط)

وأنت لما ولدت أشـــرقت الْ أرض وضـــاءت بنورك الأفق

شبه الشاعر أثر مولد النبي ﷺ علىٰ أهل الأرض بشمس تشرق فتضئ ظلام الكون ، ويمكن اعتبارها تبعية في الفعل (أشرق)، وأكتفىٰ بما أوردت

(١)الديوان :١٠٠

(٢)سورة التوبة : ٣٤.

(٣)الديوان : ١١٩ .

من نماذج في دراسة الاستعارة ، وأحيل القارئ إلىٰ الديوان لمراجعة ما بقي منها [١]

(جـ) الكناية :-

أما الصورة الكنائية في شعر العباس الإسلامي فقد وظفها توظيفا رائعا، للتعبير عن كثرة العدد في جانب جيش الإسلام، أو الإيماء إلىٰ شجاعة قومه بني سليم ، أو الإشادة بقدر النبي ﷺ، ونحو ذلك، يقول[٢] (المتقارب)

وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

الصورة الكنائية هنا وقعت في الشطر الأخير (ومن تضع اليوم لا يرفع) ، وهي كناية عن عظمة قدر النبي ﷺورفعة شأنه، وعلو مكانته، فإذا رفع النبي ﷺ أحدا رفع وإلا انحطت منزلته، وضاعت هيبته بين العرب، ولن يرفع له قدر بعد.

وبنو سليم متخصصون في فنون القتال، يقول[٣]: البسيط

لا يغرسون فسيل النخل وسطهم ولا تخاور في مشتاهم البقر

إلا سوابح كالعقبان مقربة في دارة حولها الأخطار والعكر

الكناية هنا عن شجاعة هؤلاء الجنود بإظهار أنهم لا يعرفون شيئا في الحياة عن الزراعة أو الرعي ونحو ذلك من المهن، فلا يعرفون إلا ركوب الخيل وإتقان فنون القتال وإعمال السيوف في رقاب الأعداء .

---

[١] للمزيد ينظر الديوان صفحات : ٨٨ ، ١٠٨ ، ١٤٣ ، ١٤٥ مثلا.

[٢] الديوان : ١١٢.

[٣] الديوان : ٧٣.

وإذا كان هذا حالهم ، فإن الهدف من خوض هذه الحروب هو تحصيل النصر علىٰ الأعداء والفوز بالجنان يقول العباس في هذا المعنىٰ [1]: بسيط

إذ نركب الموت مخضرا بطائنه والخيل ينجاب عنها ساطع كدر

الكناية هنا في قوله (نركب الموت مخضرا بطائنه) وهي كناية عن الشهادة ودخول الجنة، ومن ثم الفوز بلبس السندس الأخضر في الجنة.

وقد كان جيش الإسلام يملأ الأرض حتىٰ ضاقت به الأودية لكثرة عدده وعتاده يقول [2] : (بسيط)

إني أظن رسول الله صابحكم جيشا له في فضاء الأرض أركان

وهو يلح علىٰ تأكيد هذه الفكرة كثيرا ، من نحو قوله [3] : (كامل)

إذ سال من أفناء بهثة كلها جمع تظل به المخارم ترجس

وقوله أيضا [4] : (الطويل)

علىٰ الخيل مشدودا علينا دروعنا ورجلا كدفاع الأتي عرمرما

والكناية في الأبيات المذكورة هي عن كثرة الأعداد التي شاركت في فتح مكة ويوم حنين ، سواء من سليم خاصة أو من المعسكر الإسلامي بصفة عامة .

---

[1] الديوان : ٧٤.

[2] الديوان : ١٥٥

[3] الديوان : ٨٨

[4] الديوان : ١٤١.

ويوم تحقيق النصر يكون يوما مشهودا، يقول العباس عن يوم حنين [1] : (وافر)

من الأيام لم تسمع كيوم ولم يسمع به قوم ذكور

فالكناية هنا عن عظمة هذا اليوم، وبعده يكون الشموخ يقول:[2](الكامل)

عود الرياسة شامخ عرنينه متطلع ثغر المكارم خضرم

فشموخ العرنين كناية عن الرفعة وعظمة القدر، وإنما حصل لهم ذلك بعد أن حقق الله للمسلمين النصر علىٰ عدوهم .

وانتهاء الحديث عن الصورة الجزئية يقودنا إلىٰ دراسة الصورة الكلية

(ب) الصورة الكلية :-

تقدم الحديث عن الصورة الجزئية، أما الصورة الكلية فهي أعم وأشمل ؛ إذ تعنىٰ "الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات، بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص؛ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة، والتركيب، والإيقاع، والحقيقة، والمجاز، والترادف والتضاد، والمقابلة، والجناس، وغيرها من وسائل التعبير الفني[3]"، لتمثل في النهاية لوحة فنية متكاملة، يتحدث فيها الدارس عن كل ما يعن له في الأبيات مثل البحر

---

[1] الديوان : ٦٩.

[2] الديوان : ١٣٩.

(٣) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د/ عبدالقادر القط، ٣٩١، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الثانية، ١٤٠١هـ – ١٩٨٠م.

العروضي، والقافية، والألوان البلاغية، والحركة واللون، واللغة، والصورة، والزمن ... إلخ.

ولنضرب لذلك مثالاً بهذه القصيدة التي يقول فيها العباس[1]:- (الكامل)

يا خاتَمَ النُبَآءِ إِنَّكَ مُرسَلٌ ... بِالحَقِّ كُلُّ هُدىٰ السَبيلِ هُداكا
إِنَّ الإِلَهَ بَنىٰ عَلَيكَ مَحَبّة ... في خَلقِهِ وَمُحَمَّداً سَمّاكا
ثُمَّ الَّذينَ وَفَوا بِما عاهَدتَهُم ... جُندٌ بَعَثتَ عَلَيهِمُ الضَحّاكا
رَجُلاً بِهِ ذَرَبُ السِلاحِ كَأَنَّهُ ... لَمّا تَكَنَّفَهُ العَدُوُّ يَراكا
يَغشىٰ ذَوي النَسَبِ القَريبِ وَإِنَّما ... يَبغي رِضا الرَحمَنِ ثُمَّ رِضاكا
أُنبيكَ أَنّي قَد رَأَيتُ مَكَرَّهُ ... تَحتَ العَجاجَةِ يَدمَغُ الإِشراكا
طَوراً يُعانِقُ بِاليَدَينِ وَتارَةً ... يَفري الجَماجِمَ صارِماً بَتّاكا
يَغشىٰ بِهِ هامَ الكُماةِ وَلَو تَرىٰ ... مِنهُ الَّذي عايَنتُ كانَ شِفاكا
وَبَنو سُلَيمٍ مُعنِقونَ أَمامَهُ ... ضَرباً وَطَعناً في العَدُوِّ دِراكا
يَمشونَ تَحتَ لِوائِهِ وَكَأَنَّهُم ... أُسدُ العَرينِ أَرَدنَ ثَمَّ عِراكا
ما يَرتَجونَ مَنَ القَريبِ قَرابَةً ... إِلاّ لِطاعَةِ رَبِّهِم وَهَواكا
هَذي مَشاهِدُنا الَّتي كانَت لَنا ... مَعروفَةً وَوَلِيُّنا مَولاكا

آثرت أن أكتب هذه القصيدة كلها حتىٰ تظهر الصورة كاملة أمام القارئ، فيرىٰ مطلعها وموضوعها الأساس، وطريقة ختمها وإنهائها، ليبدو أمامه أثر الإسلام.

(١) الديوان: ١٢٢.

أما المطلع فهو أول جزء يبدو فيه أثر الإسلام بجلاء، فالمعتاد أن يبدأ الشاعر قصيدته بالغزل أو ببكاء الأطلال، وقد سبق توضيح ذلك في "بناء القصيدة"، لكنه متأثر بمبادئ الإسلام ومعانيه فأثمرا أسلوبًا فنيًا مختلفًا، فتجد شاعرنا يبدأ قصيدته بمدح النبي ﷺ وهو تجديد في المطالع وأثر من آثار الإسلام في شعره.

أما التخلص فقد كان العباس بارعًا فيه، إذ عطفه علىٰ المطلع بحرف العطف "ثم" في تلطف وسلاسة، وقد سبق بيان ذلك مفصلاً في بناء القصيدة.

وأما الختام فهو أثر من آثار الإسلام أيضًا في شعره فهو خطاب موجه للرسول ﷺ "ووليا مولاك" وهو رد للعجز علىٰ الصدر، إذ بدأ القصيدة بخطاب الرسول ﷺ، وختمها كذلك.

أما عن أسرار التعبير ولغة الشاعر في القصيدة، فأول ما يلفت نظرنا: استعمال أداة النداء " يا" ربما لأنها أم الباب وهيٰ تغنىٰ عن غيرها من أدوات النداء.

أما إيثاره "خاتم النبآء" من أوصاف الرسول ﷺ فذلك تذكير لغير المسلمين بأن الإسلام آخر الأديان السماوية، وأن محمداً ﷺ هو آخر نبي بعثه الله إلىٰ الخلق فإن آمنوا به، وإلا فالمصير معلوم، وقوله (إنك مرسل بالحق) صدره بالتوكيد المستفاد من التعبير بـــ "إن" المؤكدة والجملة الاسمية، وهذا يدل علىٰ قناعة الشاعر بهذا المضمون، أما قوله (كل هدىٰ السبيل هداكا) فهو مظهر من مظاهر الدعوة إلىٰ الإسلام، وأثر واضح من آثاره في شعر شاعرنا.

وفي البيت الثاني (إن الإله ...) إشارة إلىٰ أن الحق سبحانه وضع محبة النبي ﷺ في قلوب كل الخلق، فما رآه أحد إلا أحبه، إلا أن يكون في قلبه مرض، وكلمة (الإله) معرفة، وهي بهذا الشكل لا تنصرف إلا إلىٰ الله، وهي إشارة إيمانية أخرىٰ، أما الفعل (بني) فهو ماض؛ ليدل علىٰ التحقق والثبوت والوقوع الفعلي، ثم انظر هذه الاستعارة التي جعلت من المحبة بيتًا بني حول شخص النبي ﷺ يؤيد ذلك قوله (في خلقه) الذىٰ يدل علىٰ تغلغل هذه المحبة في دواخل المرء، ويختم هذا البيت بقوله (ومحمداً سماكا) وتقديم المفعول علىٰ الفعل والفاعل، للاختصاص والاهتمام والتشريف، والإفراد في الفاعل يدل علىٰ وحدته، فالتسمية من الله وحده، إلهامًا منه سبحانه لجده ﷺ .

أما بنو سليم فإفراد الضمير في الفعل (عاهدتهم)، (بعثت) يدل علىٰ وحدة المعاهد بكسر الهاء وهو النبي ﷺ، لأنه كان رئيس الدولة الإسلامية آنذاك، والقائد الأعلىٰ للجيش الإسلامي، وقد ذكر الشاعر من أوصافهم كلمة،(جند) وهو وصف يلائم الحرب وما يتعلق بها، وكلمة (عليهم) تدل علىٰ أن (الضحاك) كان ذا كلمة نافذة، وأمر مطاع عند هؤلاء الجنود، فالعلو هنا علو قدر ومنزلة ، وذكره باسمه فيه تعظيم له وإعلاء لشأنه، وأما البيت الرابع فقد صدره العباس بقوله (رجلاً) وهي كلمة بمبناها ومعناها ذات دلالة قوية تتعلق بموقف الحرب، فكما قيل[1]: (الخفيف)

(١) لم أقف علىٰ قائله.

خلق الله للحروب رجالاً ورجالاً لقصعة وثريد

فالحرب لا تناسب إلا الرجال لشدتها وقوتها، وكلمة (به ذرب السلاح) أي شدته وقوته، وكأنه خلق من حديد مثل السلاح نفسه، "وكان يقوم علىٰ رأس النبي ﷺ متوشحًا بالسيف، وكان يعد وحده بمائة فارس[1]" ولما نال هذا الشرف، لم يعد يعبأ بصلة القرابة التي تربطه بهوازن، من هنا ساغ له أن يقول: "يغشىٰ ذوي النسب القريب" ومعنىٰ يغشىٰ: يغطي، والتعبير به يوحي بالشدة والقوة، حتىٰ إن الضحاك ليغطي العدو حين يعلوه بالسيف وهدفه (يبغي رضا الرحمن ثم رضاك)

ثم ينقل العباس إلينا مشهداً من مشاهد الحرب رآه بنفسه رأي العين، إذ رأىٰ الضحاك وهو يكر علىٰ الأعداء تحت التراب المتطاير، وقد سبق بيان هذه الاستعارة أعني قوله (يدمغ الإشراك)، والتعبير بالفعل الماضي (رأيت) يدل علىٰ تحقق الوقوع، وقد أكده بمؤكدين آخرين هما (أن ، قد) إضافة إلىٰ كون الفعل ماضيًا، أما الفعل المضارع (يدمغ) فالجملة في محل نصب حالاً، وهو ما أرجحه علىٰ أن (رأىٰ) بصرية، وهو ما يتوافق مع حال الشاعر، لأنه يحكي واقعًا رآه بنفسه، والتعبير بالمصدر (الإشراك) فيه من المبالغة مالا يخفىٰ، وكأنه يبيد الشرك لا المشركين.

واستكمالاً للصورة نجد العباس يصور لنا طريقة الضحاك في القضاء علىٰ الأعداء، فهو أحيانًا يقتل بيديه، وأخرىٰ يضرب الجماجم بسيفه، وقد زادت الاستعارة من جمال الصورة وروعتها، فالمعانقة لا تكون إلا للتعبير

(١) الديوان: ١٢٢ هامش ٣.

عن الحب، لكنه استعارها لقتل الضحاك أعداءه، وهي مبالغة مقبولة للتعبير عن قوة هذا الرجل، والتعبير بالفعل المضارع (يعانق – يفري) يدل على استحضار الصورة.

وتلحظ استعمال الشاعر أسلوب الشرط الممزوج بالتشويق والإثارة، لتحريك الذهن وشحذ الانتباه " ولو ترى منه الذي عاينت كان شفاك "والتعبير بالمضارع ينقل إليك المشهد كأنك تراه، ولفظ (منه) يخصص الموقف للضحاك وحده، والتعبير عن المفعول بالاسم الموصول يدل على التهويل والتعظيم، أما(عاينت) فتنقل إلينا شهادة من رأى بعينه، والتعبير بالماضي يؤكد وقوع الحدث، وقد جاء جواب الشرط فعلاً ماضيًا وإن كان معناه مضارعًا؛ ليدل على وقوع الجواب دون مهلة فكأنه وقع بالفعل، أما بنو سليم فهم أمامه ينتظرون أوامره في ساحة الحرب لينجزوها في لمح البصر، والنص على بني سليم دون غيرهم لفرط شجاعتهم كما يعكس تلك الروح القبلية والتعصب لذوي القرابة وقد رأينا ذلك ممتداً عبر الدراسة كلها، والتعبير بالجملة الاسمية يفيد التحقق والثبوت، وقوله (أمامه) بضمير المفرد يجعل الأمر خاصًا بالضحاك دون غيره، والتعبير بالمصدر (ضربا وطعنًا) يفيد المبالغة، وفيه طي للمدة الزمنية التي كان من المفترض أن يستغرقها الفعل .

أما البيت العاشر فبدأه بالفعل المضارع (يمشون)؛ ليدعم الصورة التشبيهية فيدل على استحضار الصورة، وقد استخدم في التشبيه أداته (كأن) وهي أقوى في إلحاق المشبه بالمشبه به، فكأنهم كانوا أسوداً حقيقية تدافع عن عرينها، وهم إنما يفعلون ذلك ابتغاء رضوان الله (لطاعة ربهم وهواك)

وقد عبر عن المسند إليه باسم الإشارة (هذي) بغرض كمال العناية به وتمييزه أكمل تمييز، كما عرف الخبر أيضًا (مشاهدنا) ليفيد القصر بتعريف الطرفين، وقوله (كانت لنا) يدل علىٰ تكرار مثل هذه المواقف البطولية فيما كان من قبل، وقوله (لنا) تصل بنبرة الفخر إلىٰ أقصاها، كما تلحظ أنه كرر ضمير جماعة المتكلمين في هذا الختام وحده ثلاث مرات (مشاهدنا – لنا – وولينا) ثم انظر هذه اللام التي في (لنا) وحدنا وليست لغيرنا، وقد حاول أن يخفف من حدة الفخر بالعودة إلىٰ مبادئ الإسلام فخاطب النبي ﷺ بقوله(وولينا مولاك) وهىٰ جملة اسمية تدل علىٰ الثبوت والدوام وفيها قصر بتعريف الطرفين، وذلك أحد أهم مظاهر التأثر بالألفاظ والمعاني الإسلامية.

هذا فيما يتعلق بالجوانب التعبيرية والأسلوبية، أما جانب الموسيقىٰ فيتمثل في اختيار الشاعر بحر الكامل ومعلوم أنه أحد البحور التي يكثر ورودها في الشعر العربي؛ لأن فيه "طواعية للعديد من الأغراض الواضحة والصريحة، وهو مترع بالموسيقىٰ، ويتفق مع الجوانب العاطفية المحتدمة داخل الإنسان، كما أنه يجمع بين الفخامة والرقة [1]"، وهو أجود في الخبر منه في الإنشاء، وأقرب إلىٰ الشدة منه إلىٰ الرقة [2]، ويتسم بطابع الجد والرصانة، وهو ما ينسجم مع العاطفة القوية، ويصلح لكل أنواع الشعر، لذلك كثيراً ما نظم عليه المتقدمون والمتأخرون، وهو ذو نغم مجلجل رنان يصلح لكل ما هو عنيف من الكلام[3].

(١) دراسات في النص الشعري، د/ عبده بدوىٰ : ٦٦.

(٢) إلياذة هوميروس ترجمة سليمان البستاني جـ١ : ٩٢ دار المعرفة بيروت لبنان بدون.

(٣) المرشد مجـ١ : ٢٨٩.

وكلام النقاد عن الكامل يكاد يتفق علىٰ أنه بحر العواطف القوية وبحر الشدة والجد والرصانة، وكل ذلك يتوافق مع التجربة التي نحن بصدد الحديث عنها .

أما القافية فهي الكاف، وهو حرف مهموس شديد، وهذه الشدة تتوافق مع شدة الحرب، وإشباع الفتحة الذي تولد منه ألف الإطلاق ساعد الشاعر علىٰ مد صوته بالقافية، ليصل صوته إلىٰ أبعد مدىٰ ممكن، وذلك مما يتوافق مع موقف الحرب

أما لو حاولنا أن نتعمق في فهم بعض مظاهر الموسيقىٰ الداخلية، فإني أركز الحديث علىٰ بيتين اثنين من مطلع هذه القصيدة، يقول العباس[1].

يا خاتم النبآء إنك مرسل بالحق كل هدىٰ السبيل هداكا
إن الإله بنىٰ عليك محبة في خلقه و محمدا سماكا

وأول ما يطالعنا فيهما هذا التشديد في الحروف الذىٰ تكرر في كلمات (النبآء – إنك – بالحق – كل – السبيل – إن – محبة – محمدا – سماك) وهي تسع كلمات ومجموع كلمات البيتين ثماني عشرة كلمة مما يعني أن نصف الكلمات جاء مضعفًا ؛إشارة إلىٰ أنه ينبغي للمسلمين أن يعظموا شأن النبي ﷺ أضعافا مضاعفة؛ تقديراً لمكانته وإعظامًا لقدره، كما نلحظ أسلوب الخطاب في كلمات (إنك – هداك – عليك – سماك) وهو موجه إليه ﷺ وفيه نوع من إعظام قدر المخاطب يختلف عن التعبير

(١) الديوان: ١٢٢ .

بضـــمير الغيبة، وقد ســبق الحديث عن تقديم المفعول في قوله (ومحمدا سماكا)، فلا داعي لتكراره.

وانتهاء الحديث عن الصورة الكلية، يقودنا إلىٰ دراسة أنماط الصورة:

(٣) أنماط الصورة:

تتنوع أشكال الصورة ما بين صورة لونية، أو صورة حركية أو نحو ذلك، وسوف يتناول البحث هذا الأمر بشيء من التفصيل الذي يتوافق مع منهجه.

فأما الصورة الحركية فيمثلها قول العباس[١]: (الوافر)

ركضـــنا الخيـل فيهم بين بس إلـىٰ الأوراد تـنـحـط بـالـنـهـاب

بـذي لجـب رســـول الله فيهم كـتـيـبـتـه تـعـرض لـلضـــراب

فركض الخيل وخروج أنفاســها عالية لكثرة حركتها، وكثرة الانتقال بين ســاحات المعركة، كل ذلك يمثل صــورة حركية هي من توابع الحرب ولازمة من لوازمها.

ومثل ذلك أيضـًا قول العباس[٢]: (الطويل)

ســرينا وواعدنا قديدا محمدا يؤم بنـا أمرا من الله محكمـا

السرىٰ: هو سير الليل، وهو أنسب لأمور الحرب، حتىٰ يؤخذ العدو علىٰ غرة، وهذا تصوير لوقائع الانتقال إلىٰ أرض المعركة يوم فتح مكة.

أما الصورة اللونية فهي كثيرة جداً ومنها قول شاعرنا [٣]: (الوافر)

---

(١) الديوان: ٤٨.

(٢) الديوان: ١٤١.

(٣) الديوان: ٦٩.

ويوم كان قبل لدىٰ حنين فأقلع والدماء به تمور

ولا شك أن سيل الدماء ذات اللون الأحمر يصور في مخيلة المتلقي العدد الهائل لقتلىٰ العدو في ذلك اليوم، وبالتالي يشير إلىٰ قوة المسلمين .

وقد كانت صورة الدم أكثر الصور اللونية دورانا علىٰ لسان شاعرنا، وهذا أمر طبعي، لأن أغلب الحديث كان يدور حول الحرب، فمنها أيضاً قوله[1]: (طويل)

ونحن خضبنا ها دما فهو لونها غداة حنين يوم صفوان شاجره

لقد تغير لون اللواء إلىٰ اللون الأحمر، لون الدماء وهذا يفسر كثرة القتلىٰ من الأعداء ، وليس الأمر خاصاً باللواء، بل امتد ليشمل الرماح والسيوف يقول[2]: (الكامل)

يروىٰ القناة إذا تجا سر في الوغىٰ وتخاله أسدا إذا ما يعبس

ولأن جيش الإسلام أثخن في هوازن فقد ملأت دماؤهم الوادي، يقول[3]:

لدن غدوة حتىٰ تركنا عشية حنينا وقد سالت مدامعه دما

وهذه الصورة في القمة من الروعة، حتىٰ لتكاد تنطق بما وقع للقوم من تقتيل جعل دماءهم تجري علىٰ الأرض كأنها سيل يصب من عل.

وأرىٰ أن أكتفي بما أوردت من نماذج في هذا المضمار؛ لينتقل البحث إلىٰ سمة فنية أخرىٰ، هي :-

❁❁❁❁❁

(١) الديوان: ٨٣.

(٢) الديوان: ٨٨.

(٣) الديوان: ١٤٣.

(٤)أثر الإسلام في موسيقى الشعر

المعلوم بداية أن الشعر يقوم – بعد النية – علىٰ الوزن ، والقافية ، واللفظ، والمعنىٰ ، وإن كانت الموسيقىٰ أو " الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولادها به خصوصية [١]" ، وبعض الباحثين يجعل من الوزن أو الموسيقىٰ " روح الشعر وحياته[٢]" ، بالإضافة إلي أن " للشعر الموزون إيقاعا يطرب الفهم لصوابه ويرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه[٣]"

إذا كان هذا دور الموسيقىٰ في شكلها الخارجي ، فهناك دور آخر مهم للموسيقىٰ الداخلية ، تلك التي تعنىٰ بالجانب الروحي للشعر أو النشوة المعنوية في اتساق الكلمات وحسن تنسيقها، وملاءمة جرسها لدلالاتها المعنوية وبذلك يعرف أن موسيقىٰ الشعر نوعان : خارجية تتمثل في الوزن والقافية ، وداخلية وسوف نعرض لها بعد الموسيقىٰ الخارجية، أما الخارجية فيمثلها الجدول التالي :

---

[١] العمدة جـ١ : ١٣٤ .

[٢] د/ رجاء عيد في الشعر والنغم (دراسة في موسيقىٰ الشعر) " ٨ طبعة دار الثقافة – القاهرة ١٩٧٥ م.

[٣] عيار الشعر لابن طبا طبا العلوي : ٢١ شرح وتحقيق عباس عبد الساتر مراجعة نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ، الأولىٰ ١٩٨٢م.

م	البحر	القصائد	المقطوعات	مجموع الأبيات	النسبة المئوية
١	الطويل	٥	٢	٨٢	٪ ٣٦,٦٠
٢	الكامل	٣	٢	٥٩	٪ ٢٦,٢٣
٣	الوافر	٢	١	٤٢	٪ ١٨,٧٥
٤	البسيط	٢	١	٣٤	٪ ١٥,١٧
٥	المتقارب	١	ـــ	٧	٪ ٣,١٢
المجموع	٥	١٣	٦	٢٢٤	١٠٠ ٪ تقريبا

من خلال هذا الجدول يتبين لنا ما يلى :-

(١) بحر الطويل[١]:-

احتل هذا البحر المرتبة الأولىٰ ضمن البحور التي نظم عليها العباس شعره الإسلامي، ومعلوم أنه بحر له مكان الصدارة بصفة عامة في الشعر العربي، فقد نظم عليه ما يقرب من ثلث الشعر العربي تقريبا، وهو من أطول البحور وأحفلها بالجلال والعمق، ويعطي إمكانيات للسرد والبسط القصصي[٢]،

(١)للمزيد حول هذا البحر : ينظر العروض القديم د/ محمود علىٰ السمان : ١٠٣

[٢]ينظر دراسات في النص الشعري (العصر العباسي) د/ عبده بدوي : ١٠٦ مكتبة الشباب – القاهرة ١٩٧٧ م

وهو بحر" جليل نبيل في جوهره ، يتقبل العميق الجاد من الكلام بأو سع ما للعمق والجد من معان[1]".

أما عن الطويل في شعر العباس الإسلامي فقد جاء في المركز الأول، بعد أن عزف علىٰ أوتاره اثنين وثمانين بيتا في خمس قصائد ومقطوعتين بنسبة بلغت أكثر من ست وثلاثين في المائة (٦٠ , ٣٦ ٪).

ومما جاء منظوما علىٰ بحر الطويل في شعر العباس الإسلامي[2]

ألا هل أتىٰ عرسي مكري وموقفي بوادي حنين والأسنة شرع

وقولي إذا ما النفس جاشت لها قدي وهام تدهدىٰ والسواعد تقطع

هذان البيتان من مقطوعة نظمت في غرض جليل نبيل يحاول فيه الشاعر سرد بعض أحداث غزوة حنين، وهي من الغزوات ذوات الشأن ، و كل غزوات النبي ﷺ كانت ذات شأن، وكان من نتائجها أنها أعلنت عن القوة الحقيقية للمسلمين ، فجاءت بعد ها الوفود إلىٰ الرسول ﷺ طائعة مستسلمة ، وغزوة بهذه الأهمية يناسب أن يختار لها الشاعر بحرا يتوافق مع قدرها وهو ما كان من العباس .

---

[1] المرشد إلىٰ فهم أشعار العرب وصناعتها د/ عبدالله الطيب المجدوب مجـ ١ : ٤١٣ طبعة دار الفكر – بيروت – لبنان – الثانية – ١٩٧٠م.

[2] الديوان : ١٠٢

(٢) الكامل[١] :-

وهو من البحور التي كثر النظم عليها في الشعر العربي، وهو صالح لكل فنون الشعر، "ومن خصائص هذا البحر أن الحركات فيه تغلب علىٰ السكنات، وهذا يؤكد جانب الجزالة" [٢]؛ ولذلك جاء في المركز الثاني بعد الطويل في منظومات العباس الإسلامية ، إذ غرد علىٰ أنغامه تسعة وخمسين بيتا في ثلاث قصائد ومقطوعتين ، بنسبة مئوية بلغت أكثر من ست وعشرين في المائة (٢٦,٣٣ ٪)

ومما جاء منظوما علىٰ أوتار الكامل قول شاعرنا [٣]:-

وغداة نحن مع النبي جناحه ببطاح مكة والقنا يتهزع

كانت إجابتنا لداعي ربنا بالحق منا حاسر ومقنع

فلا شك أن فتح مكة من أهم الموضوعات التي ينبغي لها أن تكون محل اهتمام من الجميع ، لذلك تجد شاعرنا قد تخير له بحرا يتوافق مع جلاله ورفعة قدره ، ولأنه بحر يصلح لكل الأغراض الشعرية ، من هنا كان التوفيق حليفه في اختيار الكامل وزنا لهذه القصيدة ذات الأهمية البالغة، أما البحر التالي للكامل فهو :-

---

[١] للمزيد حول هذا البحر ينظر العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي مجـ ٣ جـ ٦ : ٢٦٣ تحقيق محمد سعيد العريان طبعة دار الفكر بيروت لبنان ، بدون، والعروض القديم : ٤٢

[٢] دراسات في النص الشعري د/ عبده بدوي : ٦٦

[٣] الديوان : ٩٩.

(٣) الوافر[١] :-

هذا البحر ذائع مشهور بين بحور الشعر العربي ، وهو بحر " مسرع النغمات ، متلاحقها ، مع وقفة قوية سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق[٢]".

أما عن الوافر في منظومات العباس الإسلامية فقد احتل المرتبة الثالثة بعد الطويل والكامل ، فقد نظم شاعرنا علىٰ أوتاره اثنين وأربعين بيتا في قصيدتين ومقطوعة واحدة ، بنسبة مئوية بلغت أكثر من ثماني عشرة بالمائة (١٨,٧٥ ٪) ، ومما جاء منظوما علىٰ أنغام الوافر[٣]:-

شهدن مع النبي مسومات حنينا وهىٰ دامية الحوامي

ووقعة خالد شهدت وحكت سنا بكها علىٰ البلد الحرام

هذان البيتان وقعا مقدمة لمقطوعة عدتها خمسة أبيات يتحدث فيها عن أثر فتح مكة وغزوة حنين علىٰ خيولهم ، والأبيات فيها نغم سريع وإيقاع متلاحق ، نا شئ من خصائص بحر الوافر الذىٰ يمتاز بذلك، وربما كان هذا الإسراع متوافقا مع سرعة الخيول ورجوعها من فتح مكة إلىٰ المشاركة في غزوة حنين، وهىٰ مازالت مجهدة متعبة بعد الفتح الأعظم .

أما المظهر الآخر من مظاهر الموسيقىٰ الخارجية فهو :-

❁❁❁❁❁

(١)للمزيد حول هذا البحر . ينظر العقد الفريد مجـ ٣ جـ ٦ : ٢٦٢ ، والعروض القديم: ٣٢.

(٢)المرشد ، مجـ ١ : ٣٤٧.

(٣)الديوان : ١٨٠.

(ب)- القوافي :-

القافية من أهم عناصر الشعر، ومن لوازمه، ولا تقل أهمية عن الوزن بل هي " شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمي شعرا حتىٰ يكون له وزن وقافية [1]".

وتكرار القافية جزء من الموسيقىٰ الشعرية ، فهي بمنزلة الفواصل التي يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة، وبعدد معين من مقاطع ذات نظام خاص هو الوزن[2].

وإليك جدولا يوضح القوافي التي استخدمها شاعرنا رويا لما نظم من شعر إسلامي:

م	القافية	قصائد	مقطوعات	مجموع الأبيات	النسبة
١	الراء	٣	ــ	٥٤	٢٤,١٠٪
٢	العين	٣	١	٤٧	٢٠,٩٨ ٪
٣	الميم	١	٣	٣٧	١٦,٥١ ٪
٤	الكاف	٢	ــ	٢٣	١٠,٢٦ ٪
٥	النون	١	١	١٩	٨,٤٨ ٪
٦	الفاء	١	ــ	١٧	٧,٥٨ ٪

[1] العمدة جـ ١ : ١٥١.

[2] ينظر موسيقىٰ الشعر إبراهيم أنيس : ٢٤٦ مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة السادسة ١٩٨٨م.

٧	السين	١	ــ	١٦	٧,١٤ ٪
٨	الباء	١	ــ	٩	٤,٠١ ٪
٩	القاف	ــ	١	٢	٠,٨٩ ٪
المجموع		١٣	٦	٢٢٤	١٠٠ ٪ تقريبا

وسوف أعرض لها بشيء من التفصيل وبخاصة الثلاث الأولى منها ، وهي:

(١) الراء :-

وهيٰ حرف مجهور ، مذلق ، لثوي [١]، ينطق به نتيجة لتكرر ضربات اللسان علىٰ اللثة بسرعة ، بحيث يكون اللسان مسترخيا في طريق الهواء الخارج من الرئتين ، وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به [٢] ، وهو من أوضح الأصوات الساكنة في السمع ، وقد عدها د/ المجدوب من القوافي الذلل[٣] ، وذكر د/ ابراهيم أنيس أنها من القوافي الكثيرة الورود في الشعر العربي [٤].

أما عن الراء رويا في شعر العباس الإسلامي فقد حلت في المركز الأول بين قوافيه بعد أن وردت قافية لثلاث قصائد مجموع أبياتها أربعة وخمسون بيتا ، بنسبة تربو علىٰ أربع وعشرين بالمائة (١٠ , ٢٤ ٪) أي ما يقرب من

---

[١] ينظر لسان العرب ، أول باب الراء.

[٢] ينظر دراسات في النص الشعري : ١٥.

[٣] ينظر المرشد مجـ ١ : ٤٦.

[٤] ينظر موسيقىٰ الشعر : ٢٤٨.

ربع شعره الإسلامي، ومما جاء منظوما علىٰ روي الراء قول شاعرنا (وافر)[1] :-

فجئنا أسد غابات إليهم ... جنود الله ضاحية تسير
نؤم الجمع جمع بني قسي ... علىٰ حنق نكاد له نطير
وأقسم لو هم مكثوا لسرنا ... إليهم بالجنود ولم يغوروا
فكنا أسد لية ثم حتىٰ ... أبحناها وأسلمت النصور

وقد جاءت القافية راء مضمومة، والضمة أصعب الحركات ، وهذه الصعوبة تتفق تماما مع صعوبة الحرب وشدتها، تلك التي كانت ملهمة الشاعر لإنشاء هذه القصيدة، وقد أضاف إليها حرف مد قبلها؛ ليمكنه من مد صوته في نهاية كل بيت إلىٰ أن ينتهي الهواء الخارج من صدره ، فيبدأ البيت الجديد بعد وقفة قصيرة ، يملأ فيها صدره بهواء جديد، وهكذا، وذلك أمر شاق وعصيب علىٰ النفْس والنفَس، وهي شدة تتسق مع شدة الحرب وقسوتها، لذلك كان العباس موفقا في اختيار هذه القافية ، وهي الراء المضمومة.

(٢) العين :-

وهي حرف حلقي، وهي" أنصع الحروف جرسا، وألذها سماعا[2] "، لذلك عدها د/ المجدوب من القوافي الذلل[3]، ومن هنا جاءت في المقام

---

[1] الديوان : ٦٩.

[2] ينظر لسان العرب أول باب العين.

[3] ينظر المرشد مجـ ١ : ٤٦.

الثاني في ترتيب القوافي عند شاعرنا ، إذ جعلها رويا لسبعة وأربعين بيتا، في ثلاث قصائد ومقطوعة واحدة ، بنسبة بلغت أكثر من عشرين في المائة (٢٠ , ٩٨ ٪).

ومما ورد منظوما علىٰ قافية العين قول شاعرنا [١](طويل)

ويوم حنين حين سارت هوازن إلينا وضاقت بالنفوس الأضالع

صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا قراع الأعادي منهم والوقائع

الأبيات من قصيدة عدتها ستة عشر بيتا، غرضها الحديث عن غزوة حنين كما ترىٰ، وشدة هذا اليوم وقسوة المعركة تتوافق مع شدة الضمة التي جعلت حركة لروي العين، " والعين فيها شيء من عسر[٢] " وقد زاد من هذه الصعوبة زيادة حرف مد قبل العين، مما يعطي مساحة كبري لمد الصوت قبل نطق العين، وحروف المد أوضح في السمع من غيرها، والعين من أنصع الحروف وأظهرها في السمع، كل ذلك جعل من اختيار العباس حرف العين رويا قمة التوافق مع موضوع القصيدة.

(٣) الميم :-

الميم حرف شفوي مجهور، ومن صفاته الغنة ، ويرىٰ الدكتور/ عبده بدوي أن الميم غالبا ما تعبر عن حالة من الضيق والتبرم، وهي ثاني حروف العربية تردداً بعد اللام[٣] ، وقد عدها د / المجدوب من القوافي الذلل [٤] ،

---

[١]الديوان : ١٠٨

[٢]المرشد مجـ ١ : ٤٧ .

[٣]ينظر دراسات في النص الشعري : ١٥٨ .

[٤]ينظر المرشد مجـ ١ : ٤٦ .

وصنفها د/ أنيس ضمن القوافي الكثيرة الورود في الشعر العربي[1].

وقد جاءت في المركز الثالث في قوافي العباس الإسلامية، إذ أوردها رويا لسبعة وثلاثين بيتا في قصيدة واحدة وثلاث مقطوعات، بنسبة مئوية تخطت الست عشرة في المائة (١٦,٥١ ٪) ، ومما جاء منظوما علىٰ روي الميم قول العباس مخاطبا رسول الله ﷺ[2]:- (الطويل)

فإن تك قد أمرت في القوم خالدا وقدمته فإنه قد تقدما

بجند هداه الله أنت أميره تصيب به في الحق من كان أظلما

اختار الشاعر لرويه الميم المفتوحة المشبعة وقد تولد من فتحتها ألف الإطلاق ، حتىٰ يتم رفع الصوت إلىٰ أعلىٰ مدي ممكن، فيصل الصوت إلىٰ أكبر عدد من الناس فيثير الرعب في نفوس الأعداء عندما يصل إلىٰ سمعهم ما وقع لأعداء المسلمين يوم حنين فلا يجرؤ أحد منهم أن يناصب المسلمين العداء

تلك أهم القوافي التي نظم عليها العباس شعره الإسلامي وقد فصلت القول في الثلاث الأول منها ، بما يتوافق مع طبيعة هذا البحث.

❁❁❁❁❁

[1] ينظر موسيقىٰ الشعر : ٢٤٨.

[2] الديوان : ١٤٢.

(ب) الموسيقى الداخلية :-

موسيقىٰ الشعر نوعان : خارجية تتمثل في الوزن والقافية وداخلية قوامها " هذا الانسجام الصوتي الداخلي الذىٰ ينبع من التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالاتها حينا ، أو بين الكلمات بعضها وبعض حينا آخر[١]"

والموسيقىٰ الداخلية " تنبع من اختيار الشاعر لكلماته وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات ..... وبهذه الموسيقىٰ الداخلية يتفاضل الشعراء[٢]".

وقد كان العباس موفقا في غالب الأحيان في اختيار كلماته وتنسيقها بجوار صويحباتها ، وظهر أثر الإسلام في هذا المنحىٰ جليا، وانظر مثلا قوله[٣] :-

فآمنت بالله الذىٰ أنا عبده وخالفت من أمسىٰ يريد

تجد الدقة في توظيف الألفاظ مع ما يجاورها، ثم إن كلمة (أنا عبده) لها وقع أخاذ ومعنىٰ يوحي بالخضوع والاستسلام لرب العالمين، وفيها سهولة ملحوظة في نطق حروفها، فكل الحركات متقاربة، فثلاث فتحات متوالية ثم سكون فضمتان، وما من كسرة واحدة، وكأنه يقول: إن العبودية لله ترفع العبد درجات إثر درجات، ولا مجال معها للذلة والانكسار، وتأمل معي قول شاعرنا [٤] : (كامل)

---

[١] الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية د/ إبراهيم عبدالرحمن : ٣٥٩ مكتبة الشباب – القاهرة ١٩٩٥ م.

[٢] في النقد الأدبي د / شوقي ضيف : ٩٧ دار المعارف – القاهرة – الثانية ١٩٦٦م.

[٣] الديوان : ١٢٠.

[٤] الديوان : ١٠٠.

فهناك إذ نصر النبي بألفنا عقد النبي لنا لواء يلمع

تلحظ أن العباس قد عبر بالاسم الظاهر (النبي) مكان الضمير، فلو قال (عقد لنا لواءً يلمع) ما كان يضيره شيء لكنه أراد أن يسجل علىٰ السامع أن الذي عقد اللواء لبنىٰ سليم هو النبي ﷺ بنفسه، ولم يوكل عنه وكيلا، ثم إن في ذلك تعظيما وتوقيرا لشخص النبي ﷺ؛ لأن التعبير بضمير الغائب ينبغي ألا يلجأ إليه المتكلم مع لفظ الجلالة وأسماء الأنبياء إلا في أضيق الحدود تأدبا وتعظيما، ولنا أن نقول إن تكرار ذكر لفظ النبي ﷺ هنا من باب التلذذ بذكره، فكل من يسمع أو يقرأ الاسم سوف يصلي عليه ليزيد من حسناته، ومثله أيضا قول شاعرنا [1]:- (الكامل)

حتىٰ إذا قال الرسول محمد أبني سليم قد وفيتم فارفعوا

وقوله [2]:- (الطويل)

وأنا مع الهادي النبي محمد وفينا ولم يستوفها معشر ألفا

فتلحظ أنه في الأبيات الثلاثة قد أتبع الوصف (النبي ، الرسول) بالاسم (محمد) حتىٰ لا يختلط الأمر علىٰ المتلقي فيظن أنه يتحدث عن نبي آخر مثل موسىٰ أو عيسىٰ عليهما السلام ، ثم إن فيه إغاظة للأعداء ، كما أن ذكر الأسماء في الشعر له مزيد خصوصية .

وقد يتذوق المتلقي الموسيقىٰ الداخلية والإيقاع المنسجم من خلال اختيار الشاعر ألفاظا لها معنىٰ ينبئ عن قناعته بالمذهب الذىٰ صار من أتباعه، مثل قوله [3] :

---

[1] الديوان : ١٠٠ .

[2] الديوان : ١١٥ .

[3] الديوان : ٤٨ .

لقـد أحببـت مـا لقيـت ثقيف بجنب الشعب أمس من العذاب

فكلمة (أحببت) لها وقع مميز، لا أتصور أن كلمة في مكانها تؤدىٰ مثل ذلك، أرأيت إلىٰ العباس الذي يلتقي نسبه مع ثقيف في جد واحد يعمل فيهم السيوف ؟ علىٰ الرغم من حبه الشديد لأهله وتعصبه لهم بشدة إلا أن الولاء صار لله ولرسوله، ثم إنه يؤكد ذلك بالقسم (لقد) فهو فرح بهزيمتهم علىٰ يد جيش الإسلام، وكان من الممكن أن يقول لقد فرحت ونحوها، لكن الفرح ليس كالحب، فالحب تطول مدته، أما الفرح فسرعان ما يزول .

وتأمل كلمة (تدهدىٰ) في هذا البيت الذي يصور بعض ما حاق بالقوم يوم حنين [1]:

وقولي إذا ما النفس جاشت لها قدي وهام تدهدي والسـواعد تقطع

تجدها بجرسها ومعناها وموسيقىٰ حروفها تكاد تنطق بمراد الشاعر، وهىٰ تعني سقوط رؤوس الأعداء من أعلىٰ إلىٰ أسفل بعد قطعها، وهو مشهد مرعب، مخيف، فقطع الرؤوس وفصلها عن الجسد، يختلف عن القتل دون فصل الرأس، ففيها قوة في الضرب، وصقل للسيوف وإهانة للعدو وتحقير من شأنه، ولا يقصد الشاعر من هذا المشهد التمثيل بالجثث، إنما مراده الإشارة إلىٰ قوة الضرب .

واستكمالا لهذه الصورة نجد الشاعر يقول: (والسواعد تقطع) وهي تابعة لصورة قطع الرؤوس وفصلها عن الأجساد ثم تساقطها، لأن السيوف صوارم، فكل جزء من الأعداء تنفذ إليه ضربة يقطع ويفصل عن باقي

---

[1] الديوان : ١٠٢ .

الأجزاء، وهو تصوير عبقري لمشهد الحرب يوم حنين، فالرؤوس تتساقط والسواعد تقطع وتتساقط هي الأخرىٰ، أضف إلىٰ هذه الشدة اختيار الشاعر قافية مضمومة، والضمة أصعب الحركات تدرك كم كان العباس موفقا في تصوير هذا المشهد.

ومما يسهم في إحداث نغم آسر، وإيقاع ساحر في الموسيقىٰ الداخلية : توالي كلمات في البيت الواحد تنتمي إلىٰ مادة لغوية واحدة ، مما يسرع بالنغمة الموسيقية في البيت ، لقرب مخارج الحروف أو لوحدة المخرج ، يقول [1] :- (البسيط)

دع ما تقدم من عهد الشــباب فقد ولىٰ الشباب وزار الشيب والزعر

تجد هنا حرف الشين مكررا ثلاث مرات (الشباب – الشباب – الشيب) وهذا كله يسهم في الإسراع بنغمة البيت لاتحاد مخرج الحرف، وكأن هذه السرعة تحكي شيئا من سرعة انقضاء عهد الشباب والدخول سريعا إلىٰ مرحلة الشيب

بقىٰ أن أشير إلىٰ أن شعر العباس الإسلامي قد وقع فيه بعض مزالق في الوزن وسوف أوجزها فيما يلي :-

(ج) مزالق الوزن :-

وقع في شعر العباس الإسلامي (وهو الجزء الذي يعنىٰ به البحث) بعض المزالق المتعلقة بالأوزان، وأكثرها سهل ميسور، لو أن المحقق تنبه

---

[1] الديوان : ٧٣.

لها، فمنها ما لو حذفت منه الهمزة أو سهلت لاستقام الوزن ، ومنها ما يحتاج إلىٰ النظر في الضبط.

يقول العباس [1]: (الوافر)

هم رأس العدو من أهل نجد فقتلهم ألذ من الشراب

هذا البيت من بحر الوافر الوافي، وقد كتب في الديوان بهذه الصورة ، أعني تحقيق الهمزة ، لكنه غير مستقيم الوزن ، إلا إذا سهلت الهمزة فلم تنطق وبيان ذلك كالتالي

هُمُ رَأْسُ الْـ	عَدُوِّ مِنَ اهْـ	لـ نَجْدٍ
// o/ o /o	o/// o //	// o/ o
مُفَاْعَلْتُنْ	مُفَاْعَلْتُنْ	فَعُوْلُنْ

وكان الأمر يتطلب التدقيق من محقق الديوان ، فهذا خطأ يسير ، ومثل ذلك أيضا قول العباس [2]: (الطويل)

سمونا لهم ورد القطا زفه ضحي و كل نراه عن أخيه قد أحجما

هكذا كتب البيت في الديوان، والصواب تسهيل الهمزة أو تخفيفها، وإليك التوضيح

وَكلٌّ	نَرَاهُ عَنْ	أَخِيهِ	قَدَ احْجَمَا
// o/ o	o/ o/ o//	// o/ o	o/ / o//
فَعُولُنْ	مَفَاْعِيلُنْ	فَعُوْلُنْ	مَفَاْعِلُنْ

---

[1] الديوان : ٤٨ .

[2] الديوان : ١٤٣ .

فعروض الطويل دائما مقبوضة كما هو معلوم، ومن هذا اللون أيضا قول شاعرنا [1]:

فما ترىٰ معشرا قلوا ولا كثروا إلا قد أصبح منا فيهم أثر

البيت من البسيط ، وقد كتب بهذه الصورة ، أعني تحقيق الهمزة وهو بذلك غير مستقيم الوزن، والصواب أن تسهل الهمزة في كلمة (أصبح) ، كما يلي :-

إِلاَّ قَدَا صْـ	بَحَ مِنْ	نَا فِيهِمُ	أَثَرُ
/ o //o/ o	o ///	/ o //o/ o	o ///
مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ

وقد يكون الخطأ ناشئا عن ضبط غير صحيح للكلمة في البيت الشعري ، كما في قول شاعرنا [2]: (وافر)

ألا من مُبَلِّغ غيلان عني وسوف إخال يأتيه الخبير

والقصيدة من بحر الوافر، والخطأ في هذا البيت ناشئ عن الضبط غير الصحيح لكلمة (مبلغ) حيث وردت في الديوان مضمومة الميم مفتوحة الباء، مشددة اللام بالكسر والوزن بهذا الشكل لا يستقيم أبدا، فهي اسم فاعل من الفعل (بلغ) بتضعيف اللام أو عين الكلمة، والصواب أن تجعل اسم فاعل من الفعل (أبلغ) المتعدي بالهمزة فيقال فيها (مبلغ) بإسكان الباء وكسر اللام دون تضعيف وبيان ذلك كالتالي :-

---

[1] الديوان : ٧٤.

[2] الديوان : ٦٨

أَلا مَنْ مُبْـ لِـغٌ عَيْلَا نَ عَنّي

// o / o / o // o / o / o // o / o

مفاعلْتُن مفاعلْتُن فعولن

ولو أنها تركت بدون ضبط لما وقع هذا الخطأ اليسير.

لكن هناك بيتا في الديوان غير مستقيم الوزن ، ولم أهتد إلىٰ إصلاحه ، أو حتىٰ فهم المراد منه ؛ وقد راجعته في أكثر من كتاب غير الديوان ، فكان أكثر المؤلفين لا يذكرونه ، أو يذكرونه كما هو في الديوان ، هذا البيت هو قول العباس[1]:-

والله يؤمن بعـد يوم حســكم لـكـم ولـم ســنـحـتـم بـأمـان

وهو ضمن مقطوعة عدتها ستة أبيات، ترتيبه فيها الرابع، وهي من الكامل، لكن هذا البيت غير مفهوم المعنىٰ، ولا مستقيم الوزن، فربما عبثت به أيدي بعض الرواة، لكن هذه الملحوظات اليسيرة لا تغض من قيمة الديوان ولا تقلل من قدر المحقق وجهده فيه ، ففي الأخير هو عمل بشري قد يعتريه الخطأ غير المقصود، وربما كان الخطأ راجعا إلىٰ الطابع، فأغلبهم من غير المتخصصين، والله أعلم.

❁❁❁❁❁

(١)الديوان :١٥٩

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف الخلق أجمعين ، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

وبعد :-

فإن هذا التطواف السريع علىٰ أهم القضايا الموضوعية والفنية في شعر العباس بن مرداس السلمي، يسلمنا إلىٰ تسجيل أهم نتائج البحث التي تمثلت فيما يلي :-

- ترجح – من خلال الدراسة – أن شعر العباس الإسلامي قد نظم بعد فترة من إسلامه تسمح له بمدارسة القرآن والتأثر بألفاظه وطرائق التعبير فيه ؛ لأن تأثره بالقرآن كان بينا جدا، ومن غير المقبول أن يكون ذلك قد وقع عقيب إسلامه مباشرة.
- كان مدحه النبي صلىٰ الله عليه وسلم غالبا ما يأتي في تضاعيف القصائد ، وقليلا ما كان يفرد له قصائد أو مقطوعات .
- كان الفخر ببني سليم العامل المشترك في كل أشعار العباس الإسلامية وبخاصة ما يتصل منها بوقائع الغزوتين : فتح مكة، وحنين، كما ذكر العباس في شعره أسماء بعض القادة من سليم وبخاصة : الضحاك بن سفيان، الذي خصه بمزيد اهتمام؛ لأنه كان يقف علىٰ رأس النبي صلىٰ الله عليه وسلم يحميه بسيفه، وكان يعد بمائة فارس وكان صهره ، وهناك أسباب أخرىٰ وضحها البحث .
- لم يشغل فتح مكة مساحة واسعة في شعره قياسا علىٰ ما نظم في غزوة حنين؛ لأن المدة بينهما كانت قصيرة، وكانت حنين ذات طابع خاص، وكانت آخر الأحداث الإسلامية التي نالت اهتمام شاعرنا .

- ظهر من خلال البحث تمسك العباس بالعصبية والانتماء لقبيلته بني سليم وحرصه علىٰ الإقامة الدائمة في البادية بعيدا عن المدينة ، أو مكة وهذا جعله يقل من الاستشهاد بأحاديث النبي صلىٰ الله عليه وسلم إذا ما قيس باستشهاده أو اقتباسه من القرآن الكريم .
- كثرت الألفاظ الإسلامية في الشعر موضوع البحث كثرة واضحة ،وكان الاقتباس أهم الظواهر الأسلوبية، مما جعل العباس من أكثر الشعراء المخضرمين الذين تأثروا بالإسلام ؛وهو ما أهله لأن يكون جديرا بهذه الدراسة .
- ابتدأ العباس مجموعة من قصائده المتعددة الموضوعات بمدح النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وهو ما لم يكن معهودا في مطالعه من قبل، بل هو أثر واضح من آثار الإسلام في شعره، لأن المعروف أن الشعراء يستهلون قصائدهم بحديث الأطلال أو الغزل غالبا .
- استمد العباس صوره من وادي الحرب ، فكانت تشبيهاته بالأسود شجاعة وإقداما هي الغالبة علىٰ باقي التشبيهات، كذا الحال مع الاستعارات والكنايات التي غلب عليها مثل ذلك .
- نظم العباس شعره الإسلامي علىٰ خمسة من بحور الشعر العربي فقط ، في حين بلغت قوافيه تسعا .
- تغير ولاء العباس بعد إسلامه، فصار لله ولرسوله ولدين الإسلام، بعد أن كان ولاؤه عصبية لقومه، وهذا ما جعله يحمل السيف في وجوه أهل هوازن، وهم من يلتقون معه في جد واحد، وكان يكرر ذكر أخوته لهم وحرصه علىٰ إسلامهم ، فلما أصروا علىٰ الكفر وحرب الإسلام قتل منهم خلقا كثيرا .

المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : كتب السنة :-

- سنن الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين – طبعة عيسىٰ الحلبي وشركاه – القاهرة – الثانية ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م

- شرح صحيح مسلم للنووي طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – الثانية ١٣٩٢هـ

- شعب الإيمان للبيهقي تحقيق محمد السيد بسيوني– دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – الأولىٰ ١٤١٠

- مسند الإمام أحمد تحقيق شعيب الأرناؤوط، وآخرين إشراف د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الأولىٰ ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١م

ثالثا : المصادر والمراجع :-

١- ديوان العباس بن مرداس السلمي د/ يحيي الجبوري طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان، الأولي ١٤١٢هـ -١٩٩١م

٢- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د/ عبدالقادر القط، ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.

٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير طبعة دار ابن حزم بيروت – لبنان – الأولىٰ – ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٤- أسس النقد الأدبي عند العرب د أحمد بدوىٰ نهضة مصر القاهرة ١٩٩٦م.

٥- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخر دار الكتب العلمية بيروت لبنان الأولي ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م

٦- الأصمعيات للأصمعي (عبد الملك بن قريب) تحقيق عبد السلام محمد هارون وأحمد محمد شاكر ، دار المعارف القاهرة الخامسة ١٩٦٣م
٧- الأعلام لخير الدين الزركلي دار العلم للملايين بيروت لبنان الخامسة ١٩٨٠م
٨- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني تحقيق أحمد زكي صفوت دار الكتب المصرية (مطبعة وزارة التربية والتعليم) ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م ١م
٩- إلياذة هوميروس ترجمة سليمان البستاني دار المعرفة بيروت لبنان بدون
١٠- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير دار التقوىٰ القاهرة الأولي ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩م
١١- تاريخ الأدب العربي عمر فروخ دار العلم للملايين بيروت لبنان الرابعة ١٩٨١
١٢- التحول الشعري في عصر البعثة المحمدية بواعثه وتوجهاته – د/ صفوت زيد طبعة التركي – طنطا – مصر– ١٩٩٩م.
١٣- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف القاهرة الطبعة الخامسة ١٩٨٢م
١٤- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي دار الكتب العلمية بيروت لبنان السادسة بدون
١٥- خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي شرح عصام شعيتو دار ومكتبة الهلال بيروت لبنان الأولىٰ ١٩٨٧م
١٦- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تأليف / عبد القادر البغدادي– تحقيق / عبد السلام هارون– طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب الثانية ١٩٧٩م

١٧- دراسات في النص الشعري (العصر العباسي) د/ عبده بدوي مكتبة الشباب القاهرة ١٩٧٧م

١٨- ديوان الإمام البوصيري (محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري) تحقيق / محمد سيد كيلاني- طبعة مصطفي البابي الحلبي وشركاه القاهرة الأولي ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م.

١٩- ديوان دريد بن الصمة تحقيق عمر عبد الرسول طبعة دار المعارف القاهرة – بدون تاريخ ، وتحقيق محمد خير البقاعي طبعة دار صعب بيروت لبنان ١٩٨١م

٢٠- ديوان ذي الرمة شرح الخطيب التبريزي تقديم مجيد طراد دار الكتاب العربي بيروت لبنان الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢١- ديوان ابن زمرك، تحقيق محمد توفيق النيفر دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان الأولىٰ ١٩٩٧م

٢٢- ديوان علىٰ بن جبلة (العكوك) تحقيق د/ حسين عطوان- دار المعارف – القاهرة- ١٩٧٢م.

٢٣- ديوان كعب بن زهير صنعة أبىٰ سعيد السكري- تحقيق: حنا نصر الحتي دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الأولىٰ- ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٢٤- ديوان كعب بن مالك تحقيق سامي مكي العاني مكتبة النهضة العراق الأولىٰ ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م .

٢٥- ديوان المهلهل: شرح وتحقيق/ أنطوان محسن القوال- دار الجيل – بيروت – لبنان – الأولىٰ- ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٦- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري تحقيق / عبد العزيز الميمني – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان (مصورة عن طبعة لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة ١٩٣٦م

٢٧- السيرة النبوية لابن هشام تحقيق / عمر عبدالسلام تدمري دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الثالثة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م

٢٨- شرح ديوان أبىٰ تمام الخطيب التبريزي تقديم راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٢٩- شعراء إسلاميون د / نوري حمودي القيسي طبعة عالم الكتب– مكتبة النهضة العربية – بيروت – لبنان – الثانية – ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

٣٠- الشعراء المخضرمون– د/ عبد الحليم حفني الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٨٣م

٣١- الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية د/ إبراهيم عبدالرحمن مكتبة الشاب – القاهرة ١٩٩٥ م.

٣٢- شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه د/ يحيي الجبوري مطبعة الإرشاد – بغداد – العراق ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م

٣٣- الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري تحقيق أحمد محمد شاكر دار المعارف ،القاهرة الثانية ١٩٨٢م

٣٤- الشعر والنغم (دراسة في موسيقىٰ الشعر) رجاء عيد طبعة دار الثقافة – القاهرة ١٩٧٥ م.

٣٥- الطبقات الكبرىٰ لابن سعد طبعة دار بيروت للطباعة والنشر – لبنان – ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م

٣٦- العروض القديم د/ محمود علي السمان دار المعارف القاهرة الثانية ١٩٨٦م

٣٧- العقد الفريد (أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلس تحقيق محمد سعيد العريان طبعة دار الفكر –بيروت – لبنان ، بدون

٣٨- عيار الشعر لابن طباطبا العلوي : شرح وتحقيق عباس عبد الساتر مراجعة نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ، الأولىٰ ١٩٨٢م.
٣٩- في النقد الأدبي د / شوقي ضيف : ٩٧ دار المعارف – القاهرة – الثانية ١٩٦٦م..
٤٠- القرآن والصورة البيانية د/ عبدالقادر حسين : دار المنار – القاهرة – الأولىٰ ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.
٤١- لسان العرب لابن منظور المصري تحقيق أمين محمد عبد الوهاب طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان الثالثة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م
٤٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير تحقيق/ محمد محيىٰ الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية – بيروت – لبنان ١٤١١هـ- ١٩٩٠م
٤٣- المحبر لأبي جعفر محمد بن حبيب- تحقيق / إيلزة ليختن شتيتر- دار الآفاق الجديدة – بيروت – لبنان – بدون
٤٤- المرشد إلىٰ فهم أشعار العرب وصناعتها د/ عبدالله الطيب المجدوب طبعة دار الفكر بيروت لبنان الثانية –١٩٧٠م.
٤٥- معجم البلدان لياقوت الحموي طبعة دار صادر بيروت لبنان ١٩٧٧ م
٤٦- معجم الشعراء المخضرمين والأمويين عزيزة فوال بابتي دار صادر بيروت لبنان الأولىٰ ١٩٩٨م
٤٧- معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتي نهاية العصر الأموي- د/ عفيف عبدالرحمن طبعة دار المناهل – بيروت لبنان – الأولي – ١٤١٧هـ ٩٩٦م

٤٨- معجم الشعراء للمرزباني تحقيق سالم الكرنكوي دار الكتب العلمية بيروت لبنان الثانية –١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م

٤٩- منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة طبعة تونس ١٩٦٦م.

٥٠- موسيقىٰ الشعر ابراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة السادسة ١٩٨٨م

٥١- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري تحقيق عبد المجيد ترحيني طبعة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الأولىٰ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

رابعا : الدوريات

الاقتباس والتضمين في شعر العباس بن مرداس السلمىٰ د/ عبدالعظيم فيصل صالح وآخر بحث بمجلة كلية التربية جامعة سامراء: مج٩- عدد ٣٤ – ٢٠١٣م

فهرس البحث

المحتوى	الصفحة
المقدمة	١٣٤٧
تمهيد: نبذة عن حياة العباس	١٣٥٠
الفصل الأول: أثر الإسلام في المضمون الشعري	١٣٥٥
إسلام العباس	١٣٥٦
مدح النبي صلىٰ الله عليه وسلم	١٣٥٩
فتح مكة	١٣٦٦
غزوة حنين	١٣٧٣
الفصل الثاني: السمات الفنية لشعر العباس الإسلامي	١٣٨٢
أولا : أثر الإسلام في اللغة	١٣٨٣
أ- : من سمات الألفاظ	١٣٨٣
ب- من سمات الأساليب	١٣٩٨
ثانيا : أثر الإسلام في بناء القصيدة	١٤١٤
ثالثا : أثر الإسلام في الصورة الشعرية	١٤٢٦
رابعا: أثر الإسلام في موسيقىٰ الشعر	١٤٤٤
الخاتمة	١٤٦١
المصادر والمراجع	١٤٦٣
فهرس البحث	١٤٦٩